الفصل الثاني

الدعوة الإسلامية العالمية وما يتعلق بها

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول : الإنترنت نتاج العلم الذى عظمه الإسلام.

المبحث الثانى : موقف الإسلام إزاء المدنية الغربية بين المؤيدين والمعارضين .

المبحث الثالث : أهمية الاتصال للمجتمعات البشرية .

المبحث الرابع : عالمية الرسول ﷺ والرسالة .

المبحث الخامس : المراسلة من المنظور الإسلامي .

المبحث السادس : تحليل المرتكزات التي بنى عليها النبي ﷺ عمليته الاتصالية.

oberkandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

الإنترنت نتاج العلم الذى عظمه الإسلام

تعني كلمة علم بإطلاقها ، شموليتها لسائر مجالات المعرفة الدينية وغير الدينية[١] والمعارف الدينية وغير الدينية قد حظيا في الإسلام بمكانة سامية ، يظهر هذا جليا بتتبع آيات القرآن الكريم التي وردت فيها الدعوة إلى العلم أو تفضيل العلماء أو التعريض بالجهل ، كل هذا يعطي صورة موحدة بعلو شأن العلم والعلماء وبالتقصي عن لفظ علم في القرآن الكريم ومشتقاته وجُد أنه ما يقرب من حوالي ٧٦٥ ـ مرة [٢] .

ويبلغ عدد الآيات العلمية الكونية في القرآن الكريم حوالي ٦٥٠ ـ آية [٣] .

أولا الآيات الكونية من خلال القرآن الكريم .

١ ـ قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [٤] .

٢ ـ قال تعالى : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ [٥] .

ومما يزيد الأمر وضوحا تناول القرآن الكريم لأهل العلم بالتفضيل .

---

(١) الإسلام والحضارة الحديثة ، د/ محمد جمال الدين الفندى . ص٧ . سلسلة دراسات إسلامية ، ع/(١٠) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة . جمادى الأولى سنة ١٤١٧هـ/ سبتمبر ١٩٩٦ .

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف ، الأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقى ، مادة علم . ص٥٧٦ دار الحديث ـ القاهرة ، ط١ سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

(٣) حديث إذاعي في إذاعة القرآن الكريم .

(٤) الأعراف : ١٨٥ .

(٥) يونس : ١٠١ .

« مكانة أهل العلم »

ثبت أن الله تبارك وتعالى زكّى رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عظِيمٍ﴾ (١) .

بمعنى أن رسول الله ﷺ قد ارتقى أخلاقيا حتى وصل إلى الكمال والغاية والنهاية في الأخلاق فلم يؤمر بالتزود منها .

بينما في مقام العلم أمره ربه قائلا : ﴿وقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (٢) .

ومما يزيد هذه المكانة وضوحا أن آدم عليه السلام أول البشر ، عُلم ما لم تعلمه الملائكة فارتفع قدره عليهم .

قال تعالى : ﴿ وعلَّمَ آدمَ الأسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عرضَهُمْ على الملائكة فقال أنبئُوني بأسماء هؤُلاء إن كُنتُمْ صَادقين (٣١) قالُوا سُبْحانك لا علْمَ لنا إلاَّ مَا علَّمْتنا إنَّك أنت الْعليمُ الْحكيمُ (٣٢) قالَ يا آدمُ أنْبئهُم بأسْمائهم فلمَّا أنبأهُم بأسْمائهمْ قَالَ ألَمْ أقُل لَّكُمْ إنِّي أعْلمُ غيْب السَّموات والأرْضِ وأعْلمُ مَا تُبْدُون ومَا كُنتُمْ تكْتُمُون ﴾ (٣) .

بل إن أول أمر أُمر به رسول الله ﷺ وهو خاتم النبيين قال له ربه : ﴿اقْرأْ باسْم ربِّكَ الَّذي خَلق﴾ (٤) .

والأمر بالشيء دلالة على أهميته ، والأهمية نابعة من مكانته وبين أول الخلق ونهاية الوحي ، أن الأول : فُضل بالعلم والثاني : أمر به وكأن هذا هو المقصود من الخلق .

ثانيا : مكانة العلم من خلال السنة :

ولم يقل شأن العلم في السنة النبوية عن القرآن الكريم ، فعند أول معركة حربية بين المسلمين والمشركين (غزوة بدر) . . كان الفداء لأسرى المشركين من

(١) القلم : ٤ .

(٢) طه : ١١٤ .

(٣) البقرة : ٣١ : ٣٣ .

(٤) العلق : ١ .

أربعة آلاف درهم ، إلى ثلاثة آلاف درهم ، إلى ألف درهم ، وكان أهل مكة يكتبون، وأهل المدينة لا يكتبون ، فمن لم يكن عنده فداء دُفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة ، فإذا حذقوا فهو فداء [١] .

ففي هذا العمل حرص من رسول الله ﷺ على نشر العلم والأخذ به منذ الصغر.

بل إن رسول الله ﷺ أمر بتعلم لغة الأجانب وكتابتهم ؛ فعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة عن زيد عن أبيه قال : « لما قدم النبي ﷺ المدينة ؛ أتى بي إليه فقرأت عليه ، فقال لي : تعلم كتاب اليهود ؛ فإني لا آمنهم علي كتابنا قال : فما مر بي خمسة عشر يومًا حتى تعلمته ، فكنت أكتب للنبي ﷺ ، وأقرأ كتبهم إليه » [٢] .

والحديث الشريف فيه من الكفاية لمواجهة كافة التغيرات الحديثة ولا سيما في عصرنا الحالي ، فالإشارة بتعلم اللغات هو ما يتم التواصل من خلاله وذلك للفهم والتفهيم وأمن اللبس مع أصحاب الثقافات الأخرى .

وهكذا دعا القرآن الكريم المسلمين ليحصلوا العلم ، وحث رسول الله ﷺ على قداسته ، ومن هنا فقد وجه المسلمون وجهة لم يكونوا قد اتجهوا إليها . . وهي وجهة الفكر والتفكر في الأسباب والمسببات والملاحظات والاستنتاجات ونبه العقل لكي يبحث ويفكر في نفسه ، وفيما حوله ، ويؤمن بالاستدلال من الأثر على المؤثر ومن الخلق على الخالق . . [٣] .

---

(١) انظر الرحيق المختوم في السيرة النبوية / فضيلة الشيخ / صفي الرحمن المباركفوري ، ص٢٠٨/٢٠٩، مكتبة فياض ، المنصورة ط١ ، سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

(٢) رواه أبو داود كتاب العلم ، رواية حديث أهل الكتاب ٣/٣١٨ (٣٦٤٥) الترمذي ك الاستئذان . ب ما جاء في تعليم السريانية ٥/٦٧/(٢٧١٥) قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح حسن.

(٣) المسلمون والعلم الحديث ، عبد الرازق نوفل . ص٢٨ ـ مؤسسة المطبوعات الحديثة ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

ففي منطق الإسلام لا يستوي عالم وجاهل .

قال تعالى : ﴿ قُلْ هلْ يستوي الَّذين يعْلَمُون والَّذين لا يعلمُون إنّما يتذكَّرُ أُولُوا الألْباب﴾[١] .

ولعدم التساوي بين عالم وجاهل بل انعدام التكافؤ بينهما رفع الله أهل العلم لعلمهم قال تعالى : ﴿يرْفع اللَّهُ الَّذين آمنُوا منكُمْ والَّذين أُوتُوا الْعلْم درجات﴾[٢] .

ولعل سبب تلك الرفعة أن العلم هو مصدر الإيمان والمقدمة للإيمان فقلما نجد عالما غير مؤمن إلا إذا غره علمه ولهذا قال تعالى : ﴿إنَّما يخْشى اللَّه من عباده الْعُلَماءُ﴾[٣] .

ثالثًا : نتائج العلم :

معلوم أن لكل شيء تسبقه مقدمة، فبالضروري تخلفه نتيجة ، فما النتائج التي يخلفها العلم . . ؟؟ وأقصد العلم المادي أو التجريبي .

يقول وحيد الدين خان :

لقد نظر العالم الطبيعي أو الفلكي إلى الكون ونظر العالم المؤمن إلى الكون. فأما العالم ـ غير المؤمن ـ نظر بنظرة علمية بينما نظر العالم ـ المؤمن ـ بنظرة إيمانية . . إن هذا الفارق بين المشاهدتين يشكل السبب الحقيقي في الفروق بين النتائج.

فمن نظر إلى الكون بنظرة علمية بحتة فإنه لا يجد إلا أرقاما وأعدادًا تُعد وتحصى ، ومن نظر إلى الكون بنظرة إيمانية فإن الله يتجلى له في هذا الكون ، إنه يرى في كل شيء آية من آيات الله[٤] .

---

(١) الزمر : ٩ .

(٢) المجادلة : ١١ .

(٣) فاطر : ٢٨ .

(٤) قضية البعث الإسلامي . المنهج والشروط ، وحيد الدين خان ـ ترجمة / محسن عثمان الندوي ـ مراجعة د/ عبد الحليم عويس . ص١٠ ، ١١ ، دار الصحوة ـ القاهرة ط١ ، سنة ١٤٠٥هـ . سنة ١٩٨٤م.

والمدنية إحدى ثمار العلم وباختلاف النظريتين ينتج لدينا صورتان مختلفتان تماما للمدنية تبعا لنظرة كل عالم إلى الكون .

الصورة الأولى : المدنية التي نتجت عن علم بحت مجرد عن الإيمان.

يقول عنها الدكتور / الغمراوي :

« . . . تلك هي الناحية العلمية التي أثمرت للمدنية هذه القوى المادية التي فُتن بها الناس فظنوا هذه المدنية أفضل المدنيات ، حين قدرت على ما لم تقدر عليه المدنيات قبلها ، من طيران في الهواء وغوص في الماء وتسخير للبخار والكهرباء وغفلوا عن أن تفاضل المدنيات ليس أساسه القوة ، ولكن إحسان استعمال القوة في سبيل الحق ، سبيل الله ، وإلا انقلبت تلك القوى على المدنية المغترة فزلزلتها وصيرتها إلى ما يصير إليه الباطل من الزوال »[١] .

الصورة الثانية : المدنية التي نتجت عن علم مقترن بالإيمان :

والمقصود من هذه المدنية أن تتطابق نتائجها مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها وبهذا تصبح مدنية كاملة نافعة لخير البشر والخلق جميعا .

يقول المرحوم د/ الغمراوي :

« فإن المدنية الكاملة يجب أن يكون بينهما وبين الفطرة من الاتفاق ما يجعلها في الواقع جزءا من الفطرة التي فطر الله عليها الكون وآية ذلك أن يكون فيها ما في سائر النظم الكونية من الاتساق والانسجام والتوافق والتماسك والاتزان والهدوء وهذا لا يتحقق لأية مدنية من المدنيات إلا إذا قامت على الحق في جميع نواحيها»[٢] .

ومما سبق يتضح أن هناك غاية من المدنية ـ التي تفرز من العلم المبنى على الإيمان ـ هي تمكين الإنسان من الانتفاع بهذه الحياة الدنيا في أرضها وسمائها وهوائها

---

(١) الإسلام في عصر العلم . د/ محمد أحمد الغمراوي ، ص٥٣ / ٥٤ ـ دار الكتاب الحديثة .

(٢) المرجع السابق ، ص٥٣ .

ومائها، وجبلها وسهلها ، فى صورة سهلة كريمة فالإسلام لا يعرقل سير الخطوات نحو هذه الغاية ، بل يشدد النكير على من ينفر الإنسان منها ، ويدفعه على الوقوف دونها قال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١) .

فالله جل شأنه هنا ذوق أنه أنكر على من يُحرم زينة الحياة وما فيها من مباهج ومنافع مادية بين أنها خالصة للمؤمنين : ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٢) .

إن الإسلام يريد أن تبقى زينة الحياة لمن يباشرها ، ويتمتع بها ، ولكنه يمنع أن تتحول إلى مصدر للإهلاك والشقاء فتخرج عن طبيعتها (٣) .

وعلى نحو ما سبق فهل نقبل مدنية من المدنيات أو نرفضها على أساس أنها نتجت من علم بحت لم ينبع من إيمان ، هذا هو موضوع المبحث التالي.

---

(١) الأعراف : ٣٢ .

(٢) الإسلام في حياة المسلم د/ محمد البهي ص٤٧٧ ، مكتبة وهبة القاهرة ، ط٣ ، سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ .

(٣) المرجع السابق . ص٤٧٨ .

المبحث الثاني

الموقف الإسلامي إزاء المدنية الغربية

بين المؤيدين والمعارضين

مدخل :

موقف العلماء المسلمين في الأخذ بعناصر الحداثة والتقنيات العصرية التي أفرزت من المدنيات الغربية ، لم يأخذ شكلا موحدا بل كان متغايرا تبعا لاختلاف الرؤى.

وقد بينت فيما سبق أن مدنية الإسلام قائمة على حسن استخدام عناصر التقدم والمدنية ، وأرى من الأجدى قبل إيضاح الموقف الإسلامي أن أقف على حقيقة المصطلحات التالية : (الثقافة ، المدنية ، الحضارة) .

هذه ثلاث كلمات بينها صلات وارتباط ، وهي بوجه عام تعني : الجهد الذي يقدم لخدمة الإنسان .

وعلى وجه الخصوص هي كما يلي :

الثقافة : هي الرقي في الأفكار النظرية ، وذلك يشمل الرقي في دراسة القانون، والسياسة ، والإحاطة بقضايا التاريخ المهمة ، والرقي كذلك في الأخلاق والسلوك.

والمدنية : هي الرقي في العلوم التجريبية كالطب والهندسة والكيمياء والزراعة والصناعة وسُميت مدنية لارتباطها بالمدن والاستقرار إذ تحتاج إلى مزرعة ومصنع[1] .

---

(١) الحضارة الإسلامية وضرورتها للحضارة الغربية ، د/ أحمد شلبي ص٩ ، ١٠ ، العدد (٢٧) سلسلة دراسات إسلامية تصدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

أما الحضارة : فهي مشتقة من كلمة (حضر) بمعنى الحضور ، وهي نقيض المغيب والغيبة ، وحضر يحضر وحضارة ـ بفتح الحاء وكسرها ـ تعني الحضور الدائم والمتجدد .

ويرد هذا اللفظ ـ حضر ـ مرادفا (شهد) في القرآن الكريم ، لقوله تعالى: ﴿فمن شهد منكُمُ الشَّهْرَ فلْيَصُمْهُ﴾ (١) . أي حضر مجيء الشهر وشاهده (٢).

وبإبدال لفظ شهد بدلا من حضر في القرآن الكريم وُجد أنها ذات دلالات أربع فيما بينها وتتحد لتؤدي معنى الحضارة أو الشهادة في الفهم الإسلامي، وهذه المعاني لا يمكن تجزئتها وإلا فقدت مضمونها ومعناها ، وأي واحد منها يمثل جزءا من البناء المفهوم للحضارة .

ومن ثم لا يمكن القول : بأن توافر بعضها دون الآخر يؤدي نفس مضمون الحضارة بل لابد من توافرها جميعا في منظومة أو نسق واحد حتى تعطي المفهوم بكل معانيه :

١ ـ فالشهادة : بمعنى التوحيد والإقرار بالعبودية لله والاعتزاز بتفرده بالألوهية والربوبية .

٢ ـ والشهادة : قول الحق وسلوك طريق العدل .

٣ ـ والشهادة : بمعنى التضحية والفداء (ومجالها : الجهاد) .

٤ ـ والشهادة : كوظيفة لهذه الأمة .

وطبقا لهذا فإن الحضارة هي الحضور والشهادة بجميع معانيها (٣) .

والحضارة في هذا الإطار تمثل المفهوم الإسلامي ، ولكن بوجه عام ، فالحضارة

---

(١) البقرة : جزء من الآية رقم / ١٨٥ .

(٢) مجلة منبر الإسلام ، ص١٠٨ ، تصدرها وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة.

(٣) المرجع السابق ، ص١٠٩ .

هي: الرقي في الثقافة والمدنية جميعا [١] .

ومن هذه التعريفات أرى أن المدنية تمثل جزءا أو لبنة في بناء الحضارة وعلى هذا فالحضارة عامة والمدنية خاصة .

ومن هنا يجوز استخدام لفظ الحضارة بدلا من المدنية على أساس شموليتها وأيضا يجوز استخدام لفظ المدنية ويقصد بها الحضارة على جزئيتها.

وبعد هذا الإيضاح الموجز تظهر إشكالية في شكل طرح وهو الموقف تجاه مدنية الغرب أو حضارتهم ؟

يقول الأستاذ / محمد فريد وجدي :

الناس بإزاء هذا البدع الفخيم ـ المدنية الغربية ـ أحد ثلاثة رجال :

١ ـ فهم إما خفاف الأفئدة سريعو التأثر بالظواهر فيزهيهم هذا الشكل الآسر فلا يرون لحياتهم قيمة ولا لوجودهم وزنا إلا بتقليد أهله في شأنهم كله.

٢ – وأما موهمون أنفسهم بأنهم يعتبرون هذه المدنية رجسا من الأرجاس وقنعوا بهذه الأقوال ثرثرة ، ولكنهم أخذوا فى تربية أولادهم على سنتها المهلكة (فى نظرهم) .

٣ – وإما هم (أحياء الفطرة) شارفوا هذا المنظر المدهش فعراهم ما عرا غيرهم من دهشة المفاجأة ولكنهم لم يفقدوا رشدهم بما وهبوه بالفطرة من قوة الفؤاد واستقلال النفس ، وفقه المفكر وجه السير فتبين لهم بعد إطالة الروية أن الذي ظهر به أصحاب تلك المدنية من المظهر الآسر ليس بطبيعى وإنما هو عرض اقتضته لغيرهم من قبل [٢] .

---

(١) الحضارة الإسلامية وضرورتها للحضارة الغربية . د. أحمد شلبي ، ص١٠ .

(٢) الإسلام في عصر العلم : محمد فريد وجدي ص٧١٢ ، ٧١٣٦ ، دار الكتاب العربي سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٣م.

ومن التقسيم السابق يتضح أمور منها :-

أولاً : القبول المطلق لكل ما جاءت به حضارة الغرب من أفكار وأشياء ومن أول المنادين بذلك المؤرخ البريطاني المعروف (توينبي) فهو يرى أن تؤخذ الحضارة ككل أو تترك ككل ولا مجال للانتخاب أو الانتقاء . وقد كرر ذلك أكثر من مرة في كتاباته ويمكن أن نضيف الشاعر التركي (ضياء الدين ألب) فهو ينادي بوجوب أن نأخذ كل ما جاءت به الحضارة حتى الجراثيم والأمراض التي أصابت الإنسان الغربي[١] .

ثانيا : وعلى النقيض من هذا الاتجاه ، نجد الرفض والاستغناء وأصحاب هذه الوجهة يتناقص عددهم ؛ لأن حضارة اليوم قد انتشرت وعمت سائر أقطار الأرض بحيث يصعب على الرافض ذلك ، كما على الرافض أن يكون لديه البديل ، ولا بديل حتى اليوم[٢] .

وهذا الأخير ـ الرفض ـ يسبب العزلة الفكرية التي نتج عنها أزمة الفكر المسلم والعقل المسلم والمنهج المسلم جلية واضحة بتقدم الزمان وتطور الأجيال وتبدل التحديات حتى غدت الهوة بين المثال والواقع لا تخطئها العين ، وأصبحت الغايات أماني والإنجازات والقدرات تاريخا وذكريات وبهذا أصبح المجتمع مفلسا فكريا حتى لم يعد قادرا على أخذ المبادرة وتجديد طاقة الأمة الحضارية لمواجهة زمام الهجمة الثقافية والحضارية الوافدة الدخيلة ، وأصبح لزاما معرفة المسار التاريخي الذي انتهى بالأمة وقيادتها إلى مواقفها المختلفة التي تقف فيها[٣] .

---

(١) من جوانب الحضارة الإسلامية . د/ إبراهيم سليمان عيسى ص٣٣. ع (١٩) سلسلة قضايا إسلامية تصدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م . نقلا عن الوعي الإسلامي. ع (٣٢٢) جمادى الآخرة سنة ١٤١٣هـ .

(٢) المرجع السابق ، ص٣٣ بتصرف يسير .

(٣) أزمة العقل المسلم . د. عبد الحميد أحمد سليمان ص٦٦ سلسلة إسلامية المعرفة (٩) دار القارئ العربي ـ القاهرة المعهد العالمي للفكر الإسلامي أمريكا سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

ثالثًا : الاتجاه الثالث وهو الأصعب ، في كيفية تحويل هذه المدنيات في خدمة الحق والعدل ، والاستفادة من نواتج تلك المدنيات وهو الموقف الراشد واللائق بأمة تمتلك الرسالة المعيارية التي تمكنها من التعامل مع الأشياء والحكم عليها ، أمة تستطيع بما تمتلك من رؤية سليمة ، تحويل النِقَم إلى نِعَمْ ، وهضم المنتجات الحضارية وجعلها فى خدمتها ذلك أن هذه الوسائل بقدر ما تشكل نقمة وخطورة بقدر ما تتيح من فرص ونعم لعملية البلاغ المبين ، لو كنا في مستوى إسلامنا وعصرنا[١] .

وهنا سؤال يطرح نفسه وهو :

هل الحضارة كائن عضوي متماسك لا يقبل أن يُؤخذ منه جزء دون جزء . . ؟ أم هي كَمْ متراكم جمعه الزمان والمكان ؟؟

هذا السؤال طرح من الدكتور / إبراهيم عيسى سليمان .

ويجيب فضيلته قائلا : « حين أقمنا حضارتنا أخذنا بعض معارف اليونان والهند، لكنا لم نأخذ التشريعات اليونانية ولا الآداب ، والسبب أن الإسلام أغنانا بتشريعاته ، أما الآداب ـ اليونانية ـ فكانت وثنية ، تؤمن بتعدد الآلهة لذا فقد أهملناها ولم نترجم منها شيئا .

وفي بواكير عصر النهضة قام الغرب بنقل الكثير من معارفنا في الطب والهندسة والفلك وحتى الآداب لكن الغرب رفض الإسلام ولم يقبل منه شيئًا ، أفلا يسعنا أن نفعل كذلك ؟

إن حضارة اليوم تملك أفكارًا وقيما وفلسفات وعلوما ومعارفا إضافة إلى منجزات علمية وصناعية»[٢] .

---

(١) مراجعات في الفكر والدعوة والحركة . عمر عبيد حسنة . ص٤١ ، دار القارئ العربي. القاهرة ط١ ، المعهد العالي للفكر الإسلامي سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

(٢) من جوانب الحضارة الإسلامية : د/ إبراهيم عيسى سليمان ص٣٤/ ٣٥.

والسؤال : أليس من حقنا أن نأخذ العلوم ونتجنب فلسفتها . . ؟ أليس من حقنا أن نبتعد عن القيم التي تتعارض مع قيمنا . . ؟ أليس من حقنا أن نبتعد عن علم الاجتماع الذي وضعه الماركسيون وهم فرع لهذه الحضارة . بأنه يعبر عن الاستقلال ويفلسف استعمار الإنسان للإنسان ؟ أليس من حقنا أن نتبنى القبول المقيد. . . ؟ [١] .

وأقول: إن شرطية الأخذ والعطاء كي تخضع للقيد بالنسبة للمدنية والحضارة وهي الحفاظ على الهوية والذاتية الإسلامية وقيمها النابعة من الشريعة الغراء ؛ ولكن هل تحفظ القيم على إطلاقها أم أن هناك قيما تخضع للثبوت ولا تتغير بتغير الأحداث وأيضا هناك قيم تتسم بعدم الثبوت وصلاحيتها للتفاعل مع المتغيرات ، ومن هنا تعم الفائدة بتناول معنى القيم . . .

تعريف القيم :

يقول الأستاذ / أنور الجندي :

انتقل مصطلح القيمة من مجال الاقتصاد إلى مجال الاجتماع وارتبط منذ اليوم الأول باسم الخير ، والخير الأسمى ، واعتبر الفلاسفة القيم في صميمها إنسانية ومندمجة في السلوك الإنساني نفسه فهي ليست مجردة مستقلة في ذاتها ولا منفصلة عن الإنسان نفسه بحيث يتخذ من سلوك الفرد دليلا على القيمة التي يؤمن بها [٢] .

أنواع القيم :

هناك نوعان من القيم ـ ثابتة ومتغيرة :

أولاً القيم الثابتة : هي التي لا تخضع للأزمان ولا البيئات ولا تتغير بتغير الأماكن ولا العصور فهي قيم مرتبطة بالإنسان من حيث هو إنسان مشكل من روح

---

(١) المرجع السابق ، ص٣٥ ، بتصرف .

(٢) مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام : أنور الجندي ص٣٥ ، سلسلة البحوث الإسلامية ، مجمع البحوث الإسلامية ـ القاهرة السنة الثامنة والعشرون سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

ومادة ومن جسم ونفس وهذه هي القيم الكبرى المرتبطة بالمعتقدات والأديان والأخلاق [١] .

ثانيا القيم المتغيرة : هي التي تختلف باختلاف الزمان والمكان وتخضع لاختلاف الظروف الاجتماعية والبيئية [٢] .

وعلى هذا فالقيم الثابتة والمتغيرة يزدوجان من ناحية أنهما ناتجان عن السلوك الإنساني لتحديد اتجاهاته . ويختلفان من ناحية السمات الملازمة لكل منهما من التغير بالنسبة للزمان والمكان ولكن التلازم بينهما لا ينفك أن يحدث دوران القيم المتغيرة في حيز القيم الثابتة .

ويقول الدكتور / القرضاوي :

« . . . ونستطيع أن نحدد مجال الثبات ومجال المرونة في شريعة الإسلام ورسالته الشاملة الخالدة .

فنقول : إنه الثبات على الأهداف والغايات والمرونة في الوسائل والأساليب .

الثبات على الأصول والكليات ، والمرونة في الفروع والجزئيات ، الثبات على القيم الدينية والأخلاقية والمرونة في الشئون الدنيوية والعلمية » [٣] .

ثم ذكر فضيلته أن هناك أمرين يعرّضان المجتمع الإسلامي للخطر.

الأول : أن يُجمَّد ما شأنه التغير والتطور والحركة ، فتصاب الحياة بالعقم والجمود، وتصبح كالماء الراكد الآسن الذي يجعله الركود مرتعا للجراثيم والميكروبات.

الثاني : أن يخضع للتطور والتغير ما من شأنه الثبات والدوام والاستقرار كما

---

(١) المرجع السابق ، ص٣٥.

(٢) السابق ، ص٣٦ .

(٣) الخصائص العامة للإسلام د/ يوسف القرضاوي ، ص٢١٦، ٢١٧ ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط٨ ، سنة ١٤١٤ ، ١٩٩٦م .

هو شأن من يريدون فتح باب الإلحاد في العقيدة والانسلاخ من الشريعة والتحلل من الفضيلة . كل هذا باسم الصنم الجديد « التطور » [١] .

كيفية التعامل مع هذا الخطر . . . ؟

إن الإصلاح الحقيقي . أن نتفهم جيدا ما يجب أن يتطور من شئون الحياة ، فنبذل جهودنا لتطويره وتحسينه بمنطق الحكماء الشجعان ، لا الأغرار المقلّدين .

كما نعرف ما يجب أن يبقي ثابتا من القيم ، والأفكار ، والعقائد ، والأخلاق، والآداب والشرائع التي تزول الجبال الشم ولا تزول ، بهذا الموقف الحكيم نواجه التطور ونوجهه فنفوز بالحسنيين ونربح الدنيا ولا نخسر الدين ، ونظفر برضوان الله ، وإعجاب العقلاء من الناس [٢] .

ومن هنا فأرى : أن الحضارة في التصور الإسلامي إذا رادفت لفظ الشهود أي الحضور فإن ذلك يتطلب الحضور الإسلامي في شتى نواحي الحياة ، والأخذ بمعطيات المدنيات الأخرى بأن نتفاعل معهم ولكن في إطار ضوابط تتبلور لتعطي صورة تكاملية تعد بمثابة ركائز يتم على أساسها هذا التفاعل بالأخذ والعطاء ، وليس بلزومية الأخذ فقط .

الضوابط العامة التي يتم على أساسها تفاعل الحضارات والأخذ بمدنية الغرب :

أرى من خلال العرض السابق أنه يمكن القول : بأن المؤيدين للأخذ بمدنية الغرب وحضارته هم أصحاب الرأي الثالث في تقسيم الأستاذ / محمد فريد وجدي ـ أصحاب الفطرة ـ على حد قوله إن ما ظهر لأصحاب هذه المدنية ما هو إلا عرض ظهر لغيرهم من قبل . ولكن هذا لا يمنع من الأخذ بها ما دامت في حيز ضوابط يمكّن كلا من المتفاعلين بالحفاظ على هويته وخصوصيته التي تنبع من عقيدته .

يقول الدكتور / أحمد فؤاد باشا :

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٥٧ بتصرف .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٥٨ .

« وأما الطريق الآخر لمعادلة التفاعل بين الثقافات والحضارات فهو احتفاظ كل ثقافة وحضارة ، بخصوصيتها المميزة والإبقاء على طابعها ومقوماتها التي تنفرد بها، ومقاومة كل أمة للذوبان في أية أمة أخرى إلى الحد الذي تنطمس فيه معالم هويتها وسمات شخصيتها » (١) .

كما نوقشت هذه القضايا في المؤتمرات التي عنيت بهذه الأمور فجاءت توصيات في شكل ضوابط تحدد على أساسها الطريقة التي نتعامل بها مع مدنيات الغرب وحضارته .

فقد ورد في وثيقة التوصيات لمؤتمر الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري ما نصه:

١ ـ التأكيد على القيم المشتركة بين الحضارات وعلى رأسها الإيمان بالله ونشر الأخلاق الفاضلة وتكريم الإنسان والاعتراف بحقوقه وبصفة خاصة حرية العقيدة وقسيمتها حرية إقامة الشعائر الدينية ، وحقه في المشاركة في القرارات المصيرية التي تهم المجتمع الذي يعيش فيه .

٢ ـ التقريب بين الحضارات المختلفة بحيث يكمل بعضها البعض الآخر وتتفاعل فيما بينها لخير الإنسانية إذ أن التعدد هو سنة الله في خلقه .

٣ ـ يؤكد المؤتمر على حقوق الشعوب في الحفاظ على خصوصيتها الحضارية مع التعايش مع الحضارات الأخرى ، فالجانب المادي في الحضارة من مخترعات وعلوم، ملك البشرية جمعاء ينتقل من حضارة إلى أخرى ، أما الجانب المعنوي للحضارة ويمتثل فيما يلي :

أ ـ الثقافة الدينية والاجتماعية .

ب ـ اللغة .

فإن ذلك يمثل الهوية الخاصة بكل حضارة ومن حق كل شعب الحفاظ عليها.

---

(١) في فقه العلم والحضارة ، د/ أحمد فؤاد باشا ، ص١٠٥ ، سلسلة دراسات إسلامية العدد (٢٠)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

٤ ـ يناشد المؤتمر الهيئات الحكومية وغير الحكومية في الدول الإسلامية أن تدعم أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في البلاد الغربية بشأن البرامج والأبواب المخصصة للتعريف بالإسلام سواء بالدعم المادي أو بمدها بالمعلومات الصحيحة عن الإسلام .

٥ ـ كما يناشد المؤتمر البلاد الإسلامية تعزيز برامجها الثقافية التي تستهدف التعريف بالإسلام من خلال قنواتها الفضائية [١] .

كذلك طرحت نفس القضايا في وقائع المؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحت عنوان : (**المسلمون والقرن الحادي والعشرون**) المنعقد بالقاهرة في الفترة من ٨ إلى ١١ ربيع الأول سنة ١٤١٩هـ / ٢ إلى ٥ يوليو سنة ١٩٩٨م.

(جاء فيه) :

١ ـ التحدث بلغة العلم في عصر ثورة المعلومات والاتصالات ومن أجل ذلك فإن على جميع المسلمين في كل أنحاء العالم أن يتهيئوا ـ وبكل القوة والعزم للقيام بمسئولياتهم ـ تجاه مصيرهم وتجاه مستقبل البشرية كلها في هذا القرن الجديد ، وعليهم أن يحسنوا التحدث باللغة الجديدة التي ستتخاطب بها الدول والشعوب : لغة العلم والتقنية ، لغة الثورة العظمى في مجال المعلومات والاتصالات حتى يصغى العالم إلى ما يقولون ، ويضع مصالحهم في مكان الرعاية والاعتبار. وعلى المسلمين جميعا في كل أنحاء العالم أن يعيدوا النظر في مواقفهم ويبذلوا أقصى الجهد من أجل الوصول إلى مكان لائق بتاريخهم وحضارتهم على خريطة عالم القرن الحادي والعشرين ، وإلا فالمصير هو السقوط في زوايا النسيان والتخلف[٢].

---

(١) الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري ، أعمال مؤتمر . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . ص١٦٩ : ١٧١ ، ع (١٥) وزارة الأوقاف . القاهرة سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦ .

(٢) انظر : منبر الإسلام ص٣٥ ع(٤) السنة (٥٧) ربيع الآخر سنة ١٤١٩هـ / أغسطس سنة١٩٩٨م.

٢ ـ الإسلام ينكر الحضارة المركزية التي تريد للعالم حضارة واحدة ولكن الإسلام يريد العالم منتدى حضارات متعددة ومتميزة تتفاعل وتتساند من أجل الإنسانية.

٣ ـ أكد قداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية في كلمته أمام المؤتمر في الجلسة الافتتاحية على أهمية تطور الدول العربية ليس في القيم والمبادئ فحسب ولكن في وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة مشيرا إلى أهمية المخترعات الحديثة ودورها البارز في الاتصالات محذرا من استخدام الإنترنت في مجال الصراع بين الأديان والطوائف وأكد على ضرورة الاستفادة من تلك المخترعات وعدم العزوف عنها مشيرا إلى أنه إذا أُحسن استخدامها ستكون خيرات وإذا أسيء استخدامها ستكون وبالا وشرا على البشرية وأشار إلى ضرورة الابتعاد عن الذوبان في اتجاه العولمة [١] والعمل على تحقيق الاستفادة من التقدم العلمي مع المحافظة على التمايز الأخلاقي [٢].

٤ ـ وأشارت الدكتورة / فوزية العشماوي : إن الحضور الإسلامي في المحافل الدولية ضئيل جدا ، حيث إن علماء المسلمين لا يذهبون إلى المؤتمرات التي تتناول الشئون الدينية البحتة ، ولا يعيرون اهتماما شديدا للمؤتمرات ذات الطابع العام. والمجتمع الدولي في حاجة إليهم ليشرحوا للعالم من مفهوم إسلامي رسالة الإسلام الحقيقية لكونها رسالة موجهة إلى العالم أجمع [٣].

ثم يختم المؤتمر أعماله بتوصيات جاء فيها :

١ ـ تنسيق الجهود بين مختلف مراكز الدراسات والبحوث في سائر أنحاء العالم.

---

(١) العولمة تمثل هذا التداخل الكثيف في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين مختلف دول العالم م. الوعي الإسلامي ع/(٣٨٤) ص٥٧٧ شعبان ١٤١٨/ ديسمبر ١٩٩٧.

(٢) منبر الإسلام ، ص٤٥ ، عدد (٤) سنة (٥٧) .

(٣) المرجع السابق ، ص٦٣ .

٢ ـ ضرورة تبادل المعلومات بين مراكز البحوث والجامعات ومختلف المؤسسات العلمية في العالم الإسلامي مما يؤدي إلى تكوين قاعدة معلومات وبيانات تخدم الأهداف العلمية المشتركة ، وتساعد في وضع استراتيجية لخطط بحثية علمية مشتركة .

٣ ـ الانفتاح على العالم المتقدم وبذل الجهود للحصول على وسائل نقل التكنولوجيا المتقدمة .

٤ ـ تعميق الحوار العلمي بين العلماء في مختلف أقطار العالم الإسلامي وبين نظرائهم في البلاد المتقدمة والإفادة من علماء العالم الإسلامي المتغربين[١] .

بالإضافة إلى ما سبق للتأكيد على حتمية الأخذ بوسائل النهوض والتقدم الذي يعد من تداعيات الحضارة الغربية ومدنيتها .

يقول الإمام / عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق :

« إنني مهما تحدثت عن الحضارة بإجلال أو بتحقير ومهما تكلمت عنها بنقد أو تحليل ، فإن الدين على وجه العموم لا يعارض قط التقدم العلمي ، وإسعاد الإنسانية ، لا يعارض التقدم الصناعي ، لا يعارض في الناحية العلمية على أية صورة كانت مادام الأمر أمر إسعاد الإنسانية »[٢] .

وأقول : إذا كانت شبكة الإنترنت إحدى نواتج المدنية الغربية فشأنها شأن غيرها من مظاهر المدنية التي تحقق السعادة للإنسان بوجه عام وبصفة خاصة الاستفادة منها في حقل الدعوة الإسلامية .

استخدام أصحاب الديانات والمذاهب الفكرية لشبكة الإنترنت :

١ ـ اليهود : فلقد أصبح العالم يتسابق على حجز مواقع لبث رسائل على شبكة الإنترنت حيث أصبحت الإنترنت ساحة للتقى العقائد . فلليهود ساحتهم ومنابرهم

---

(١) المرجع السابق ، ص٧٣ باختصار .

(٢) الإسلام والعقل . د/ عبد الحليم محمود ، ص٢٢١ ، دار المعارف ـ القاهرة ط٣ ، سنة ١٩٨٨م.

على « الإنترنت » وهناك مساحة مخصصة فقط للرد على أسئلة اليهود في أنحاء العالم فيما يتعلق بالحلال والحرام في المأكل والمشرب [١] .

وهناك طائفة يهودية أرثوذكسية تسمى نفسها (Yaa Leve Yovo)

لها مساحة مخصصة في الإنترنت لإرسال الصلوات والأدعية اليهودية إلى القدس من أجل أن تطبع وتعلق على الحائط العربي ـ في القدس [٢] .

٢ ـ النصارى : وحينما يعلن بابا الفاتيكان شخصيا بقوله : « ينبغي للكنيسة أن تستفيد من أي تطور تكنولوجي للتبشير بالمسيحية » وفعلا ، ففي عام ١٩٩٥م بدأ الفاتيكان في وضع مساحة كبيرة خاصة على الإنترنت .

وستوفر الخدمات ٢٤ ساعة يوميا وقد خصص الفاتيكان طاقما متفرغا لهذه المساحة المعلوماتية في الإنترنت [٣] .

تقول القسيسة جوديث ذوبلن : إحدى أعضاء طاقم الفاتيكان لهذه المساحة: «إن الإنترنت اليوم أصبح موضة العصر في كل مكان ، ويتوجب على الفاتيكان أن يواكب هذا التطور ويكون لنا فيه حضور » [٤] .

وقد قمت بزيارة المساحة التي للفاتيكان على الشبكة المعلوماتية فوجدت ما يلي في محتويات الموقع :

نبذة عن راديو الفاتيكان من حيث التأسيس ومراسم الافتتاح واللغات التي يبث بها هذا الراديو برامجه إلى العالم .

أولاً : تأسيس راديو الفاتيكان .

إنه في يوم ١٢ فبراير ١٩٣١ تحدث الماركين ماركوني بتلك الكلمات التاريخية

---

(١) مجلة المجتمع.ع (١٢٣٣) ، ٢٨ شعبان سنة ١٤١٧هـ / ٧/١/١٩٩٧م ، ص٤٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص٤٥ .

(٣) مجلة المجتمع . ع (١٢٣٣) ، ٢٨ شعبان سنة ١٤١٧هـ / ٧/١/١٩٩٧م ، ص٩٥ .

(٤) السابق ، ص٤٥ .

فقال : إنه لشرف عظيم لي أن أعلن أن البابا بيوس الحادي عشر سوف يفتتح راديو الفاتيكان في دولة الفاتيكان وسوف تحمل موجات الأثير كلماته وبركاته إلى العالم ، وهكذا أعلن عن ميلاد إذاعة راديو الفاتيكان واستطرد العالم أيضا قائلا : بعون من القادر والذي سمح لنا باستخدام العديد من القوى الطبيعية السرية والذي أقدرني على إعداد هذه الوسيلة والتي سوف تكون السلوى لمؤمني العالم من خلال سماع كلمات الأب الأعظم اليوم أيها الأب الأعظم أريد بعض عطفكم لي حيث العالم بأسره سيسمع كلماته أغسطس [١] .

ثانيا : مراسم افتتاح راديو الفاتيكان .

في يوم الافتتاح قام العديد من المراسلين والمصورين التليفزيونيين من جريدة (بارامونت نيوز) الأمريكية بإحضار معدات ذات جودة عالية لتسجيل هذا الحدث والآن يوجد تسجيل لهذا الحدث في الأرشيف الخاص براديو الفاتيكان وفي تمام الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر قام العالم الماركين ماركوني بوضع سماعات الأذن باستديو الصوت وبدأ البث حيث سُمع صوته بوضوح في قارات العالم على سبيل المثال في نيويورك ومليورين وكوبا [٢] .

ثالثًا : راديو الفاتيكان اليوم .

في عام ١٩٩٦ بث راديو الفاتيكان برامجه بلغات عديدة تقرب من الثلاثين وذلك من الفاتيكان مستخدما الموجه القصيرة والمتوسطة و fm وكذلك الأقمار الصناعية واليوم الآب باسكال بور جوجيو هو المدير العام الحالي وفي هذه المحطة يوجد موظفون من ٦٠ دولة من أنحاء العالم كما كان في عام ١٩٣١ واليوم ١٩٩٦ فراديو الفاتيكان يبث صوت خليفة بطرس للمدينة والعالم .

ومن تمام الفائدة حصرتُ بعض اللغات التي يبث بها راديو الفاتيكان برامجه بها

---

(١) عنوان الموقع http:WWW.Vatican.

(٢) عنوان الموقع http:www.vatican.net

وهي على النحو التالي :

رابعًا : اللغات التي تبث من خلال راديو الفاتيكان

١ ـ الأرمينية .

٢ ـ الروسية .

٣ ـ الأوكرانية .

٤ ـ بيكولورسان .

٥ ـ اللتوانية .

٦ ـ اللاتينية .

٧ ـ الرومانية .

٨ ـ البلغارية .

٩ ـ الإسكندنافية .

١٠ ـ الإيطالية .

١١ ـ الفرنسية .

١٢ ـ الإنجليزية .

١٣ ـ الفترينية .

١٤ ـ الأسبانية .

١٥ ـ البرتغالية.

١٦ ـ الألمانية .

١٧ ـ البولندية .

١٨ ـ العربية .

١٩ ـ الألبانية .

obeikandl.com

٢٠ ـ السلوفانية .

٢١ ـ الكرواتية .

٢٢ ـ المجرية .

٢٣ ـ التشيكية .

٢٤ ـ السلوفاكية [١] .

بالإضافة إلى طوائف وأصحاب مذاهب وأفكار متعددة لها مساحات على الإنترنت ، فالموقف الإسلامي إذا وجد على الإنترنت فليس من قبيل أسبقية المشاركة للديانات الأخرى والمذاهب ، ولكن لأن الدعوة الإسلامية يكمن سر بقائها في تفاعلها مع الآخرين لأن الله عز وجل أنزل في كتابه : ﴿وجعلْناكُمْ شُعُوبًا وقبائل لتعَارَفُوا﴾ [٢] .

وفي هذا المقام يقول الدكتور / القرضاوي :

يقول تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [٣] .

فعلينا نحن الداعين إلى الإسلام أن نبين هذا الإسلام الذي ائتمننا الله عليه ، ووكلنا بدعوة العالم كله إلى نوره أن نخاطب الناس بلسانهم ، وبلسان عصرهم ومن أجل هذا يجب أن نطور أساليب دعوتنا حتى تواكب عصرنا [٤] .

وقد شارك سيادته بوضع رسائله بعنوان :

صفحات القرضاوي على الإنترنت . عن طريق شركة آفاق القطرية ، والحديث عن ذلك في الدراسة الميدانية .

---

(١) Http://www.Vatican.net

(٢) الحجرات : ١٣ .

(٣) إبراهيم : ٤١ .

(٤) مجلة المجتمع ، ع (١٢٤٧) ، ص٢١ ، الكويت سنة ١٤١٧هـ/ سنة ١٩٩٧م.

وبعنوان (الإسلام عبر الإنترنت) .

أوضح فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر على السؤال الذي وجه لسيادته .

لماذا لا يقتحم الأزهر الشريف شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) ويحجز مساحة مناسبة لتقديم الإسلام الصحيح بمعظم اللغات الحية للعالم الغربي وتوضيح الصورة الحقيقية للإسلام إلى العالم . . . ؟

قال فضيلته : « لقد قاربت شبكة المعلومات العالمية « الإنترنت » بين دول العالم بعضها البعض وجعلتها قرية صغيرة ولا شك أن هذه الشبكة سلاح خطير لمن يمتلك استخدامه وقد ثبت للأزهر أن هناك معلومات خاطئة تُبث على هذه الشبكة عن الإسلام والمسلمين وإيمانا من دور الأزهر في الدفاع عن الإسلام وتصحيح صورته في الداخل والخارج ونشر رسالته في تبليغ تعاليم الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة. قمنا بحجز مساحة للأزهر الشريف على هذه الشبكة ليقوم الأزهر من خلالها بالرد على المعلومات الخاطئة والمفاهيم المغلوطة التي يبثها أعداء الإسلام والمسلمين . . نظرا لأن هذا العمل ليس بالهين أو اليسير ، فقد تم الاتفاق بين الأزهر ووزارة الأوقاف على توحيد الجهود التي يبذلها الأزهر الشريف ، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية في ذات الغرض والهدف » [١] .

---

(١) جريدة الأهرام ص١٨ ، ٢٧ يناير سنة ١٩٩٨م ، وانظر أيضا الوعي الإسلامي ، ص٨٨/ع/ ٣٩٣، جمادى الأولى ١٤١٩هـ أغسطس ، سبتمبر ١٩٩٨م .

obeikandl.com

المبحث الثالث

(أهمية الاتصال للمجتمعات البشرية) وفيه :

١ ـ تعريف الاتصال .

٢ ـ الهدف من العملية الاتصالية .

٣ ـ خلفية تاريخية عن الاتصال .

٤ ـ تقسيم مجتمعات الاتصال إلى قديمة وحديثة .

obeikandl.com

obeikandl.com

أهمية الاتصال للمجتمعات البشرية

تمهيد :

تمثل عملية الاتصال عنصرا حيويا في حياة الكائنات على وجه العموم ، وعنصرا فعالا في حياة المجتمعات البشرية على وجه الخصوص ، ولعل هذا هو المبدأ الذي أخذت منه عبارة (الإنسان مدني بطبعه) ولا تتحقق هذه المدنية إلا بالتواصل لا بالانعزال والتقوقع والانطوائية .

١ ـ فما تعريف العملية الاتصالية ... ؟؟

يقول الدكتور / أحمد بدر :

كلمة الاتصال Comminication مشتقة من لفظها الإنجليزي من الأصل اللاتيني Comminis أي Comman معناها مشترك ، فعندما نقوم بعملية الاتصال فنحن نحاول أن نقيم رسالة مشتركة مع شخص أو جماعة أخرى . أي أننا نحاول أن نشترك سويا في معلومات أو أفكار أو مواقف واحدة (١) .

ويرى جوزيف كلابر : أن الاتصال البشري هو الأساس الذي يقوم عليه البنيان الاجتماعي للأفراد باستخدام الرموز المختلفة كاللغة والإشارات ونحو ذلك . . . ومن خلال علامات متبادلة ومفهومة . وبالتالي فالاتصال يمارس دورا حيويا في تكوين الآراء المختلفة (٢) .

وفي هذا المقام يقول الدكتور / عمارة نجيب :

الذي نعنيه بالاتصال الشخصي هو ذلك الشكل من المواجهة بين طرفين بهدف تأثير أحدهما في الآخر عن طريق إخباره بشيء أو تعريفه به أو كشفه له (١) .

---

(١) الاتصال بالجماهير بين الإعلام والتطويع والتنمية ، د / أحمد بدر ص١٣ ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة سنة ١٩٩٨ .

(٢) الدعوة الإسلامية والإعلام الدولى د / محيي الدين عبد الحليم ص١٤ . دار الفكر العربي القاهرة.

٢ ـ الهدف من العملية الاتصالية :

ومن تلك التعريفات يبرز هدف عملية الاتصال ـ سواء أكان بشكل فردي كما ذكر ذلك الدكتور / عمارة نجيب ، أم متعدد الأطراف كما في التعريفين الأول والثاني ـ إلى إحداث تجاوب بين طرفين وتحقيق قدر من المشاركة سواء أكانت عقلية يتبادل فيها الطرفان المعلومات والمعارف ، أو كانت وجدانية يتبادلان فيها المشاعر والقيم والاتجاهات (٢) .

وبالتالي فيصعب على الجماعة البشرية مواصلة حياتها بدون اتصال ؛ ذلك أنه بفضل الاتصال تتواصل الأجيال عبر العصور المختلفة والمسافات المتباعدة متخطية حواجز الزمان والمكان لتحول العالم الذي نعيش فيه إلى قرية صغيرة يترك ما يدور في أحد أجزائها صداه الواسع في كل مكان وذلك بعد أن أحرزت وسائل الاتصال تطورا مذهلا وتغلغلت في حياة الناس وأسهمت في تكوين اتجاهاتهم العقلية والوجدانية (٣) .

٣ ـ خلفية تاريخية عن الاتصال :

وإن كان ما سبق يوضح أهمية الاتصال في حياة البشر إلى أنه يثير في النفس البحث عن تاريخ الاتصال البشري وأشكاله ، ويبرز هذا بإيضاح الخلفية التاريخية عن الاتصال .

يذكر الدكتور / عمارة نجيب . أن تبليغ الوحي أول صور الاتصال في الحياة البشرية ، أوحى الله إلى آدم عليه السلام ما به يعرف مسميات الأشياء ، يتعلم كيفية التعامل مع كل شيء حوله بحيث تنتظم حياته وتستقيم ، ويتحقق لها الأمن والهداية (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاء

(١) فقه الدعوة والإعلام ، د / عمارة نجيب ، ص١٨٩ . مكتبة المعارف ، الرياض سنة ١٩٨٧ .

(٢) تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية (مفهومه ، أسسه ، استخداماته) د / رشدي طعيمة . ص١٧ . دار الفكر العربي ، القاهرة .

(٣) الدعوة الإسلامية والإعلام الدولي . د / محيي الدين عبد الحليم ، ص١٤ .

(٤) فقه الدعوة والإعلام ، د / عمارة نجيب ص١٩١ .

هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(١).

وقال أيضا : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٢).

فكان آدم وحواء على اتصال دائم يتبادلان الخواطر والمشاعر والأحاديث وينقل آدم إلى حواء مما يوحى الله به إليه ويدعوهما إلى اتباع الوحي لما فيه خيرهما وسعادتهما ، ثم اتسعت دائرة الاتصال الشخصي تبعا لاتساع الحياة البشرية بعد إنجاب آدم وحواء للذرية (٣) .

ولقد أخبر الله سبحانه عن جزء من الحوار الذي جرى بين الأخوين من أبناء آدم معبرا عن صورة الاتصال الشخصي .

قال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٤) .

وبقى الاتصال الشخصي وسيلة الإنسان الأولى والأساسية في الدعوة والإعلام بالهدى أو بالضلال ولا تزال حتى الآن رغم جميع المستخدمات التقنية في مجال الاتصال (٥) .

ومن العرض السابق بإبراز الخلفية التاريخية للاتصال في شكله الأول

ـ الاتصال الشخصي . الذي يعتبر ركنا من أركان الاتصال الجماهيري ، فهو

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٣١ : ٣٢ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٣٧ ، ٣٨ .

(٣) فقه الدعوة والإعلام ، د / عمارة نجيب . ص١٩٢ .

(٤) سورة المائدة الآيات ، من ٢٧ : ٣٠ .

(٥) فقه الدعوة والإعلام ، د / عمارة نجيب . ص١٩٢ .

مع أقدميته إلا أنه ما زال مستمرا حتى الآن ، وبالتوسع العمراني وزيادة العدد الكمي لبني الإنسان توسعت مظاهر اتصالهم مما يمكن القول بتقسيم المجتمعات من حيث الاتصال إلى قسمين هما :

٤ ـ مجتمعات قديمة ومجتمعات حديثة :

أولاً : المجتمعات القديمة :

لقد عرف الناس في البيئات القديمة كلا من الإعلام والدعاية (١) ولكن بالصور والوسائل التي تناسبها . كما عرف الناس في تلك البيئات القديمة كلا من الإعلان والعلاقات العامة والتعليم بالصور والوسائل التي تتناسب معها وهكذا (٢) .

وكان من الأشكال التي تتواصل عبرها المجتمعات القديمة ما يلي :

أ ـ الأسواق :

كان من جملة هذه الوسائل وأقواها أثرا في عملية الاتصال والإعلام هي الأسواق في العصر الجاهلي التي كان من أشهرها بالنسبة للعرب عكاظ ومجنة وذي مجاز وكانت تقوم في أيام الحج ويؤمها العرب قاطبة (٣) .

ب ـ الندوة :

بالإضافة إلى الأسواق فقد كانت الندوة تمثل أقوى طرق الاتصال بين العرب في الجاهلية ـ عدا الأسواق .

---

(١) الإعلام (عملية فنية ارتبطت بالوجود الإنساني ، وكان يقوم بها عبر آلاف السنين ، دون تقنين أو تنظير مسبق ، وقد بقى ضمن المعرفة البشرية الشاملة جزءا منها يقوم بدوره ويؤدى وظيفته . يراجع فقه الدعوة والإعلام د / عمارة نجيب . ، أما عن الدعاية فتشمل تلك الجهود المقصودة التي يقوم بها الداعية لتوجيه أو تطويع أفعال الناس وأفكارهم ، على أن تتركز جهود التطويع أو التوجيه في مجالات المعتقدات والقيم غير المتفق عليها بين هؤلاء الناس ، على أن يستخدم الداعية في ذلك الرموز بأنواعها المختلفة كالكلمات ، والإيماءات والأعلام والصور والتماثيل والموسيقى وغير هذا. . .) انظر الاتصال بالجماهير د / أحمد بدر ص١٣٢ .

(٢) الإعلام في صدر الإسلام . د / عبد اللطيف حمزة . ط٢٣ . دار الفكر العربي . القاهرة .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤ .

ومن الأمثلة عليها (دار الندوة) قرب الكعبة وهي الدار التي اجتمع فيها رؤساء القبائل العربية ومنهم بنو هاشم وأخذوا يتشاورون في الطريقة التي يتخلصون بها من محمد ﷺ وكان ذلك قبل الهجرة (١) .

وكان هناك المزيد من الوسائل الاتصالية في المجتمعات القديمة التي كانت متاحة لديهم في تلك الآونة وما سبق هذا ما هو إلا لمحة عن جزئية صغيرة من أجزاء الاتصال القديم وما هذا إلا لتسلسل الأمر وصولا إلى الشكل الحديث للعملية الاتصالية .

ثانيا : المجتمعات الحديثة :

تطورت وسائل الاتصال الحديثة تطورا مذهلا فأصبحت قادرة على أن تنقل الرسائل بدرجة هائلة من الدقة والواقعية فالفيلم والراديو (المذياع) والمسرح والتليفزيون (التلفاز) والمجلة المصورة والكتاب يتميز كل منها بطابعه وبلغته ورموزه وإيماءاته التي ينقل بها الرسالة ولكل منها جمهوره الذي تعود عليها والذي ألف لغتها وأمكنه فهمها وتفسيرها في يسر وسهولة (٢) .

والمجتمعات الحديثة بدورها أخذت أشكالا متباينة في عمليتها الاتصالية وتنقسم هذه الأشكال إلى قسمين : ـ

القسم الأول : (وسائل إلكترونية) وتشمل الإذاعة والتليفزيون (التلفاز) السينما .

القسم الثاني : (وسائل مطبوعة) وتشمل الصحافة والمجلات والكتب والمطبوعات المختلفة (٣) .

---

(١) الإعلام في صدر الإسلام . د / عبد اللطيف حمزة . ص٣٤ ـ دار الفكر العربي . القاهرة .
(٢) دراسات في الاتصال . د / عبد الغفار رشاد . ص١٠٨ . مكتبة نهضة الشرق القاهرة سنة١٩٨٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص١٠٩ .

لمحة تفصيلية عن نوعى الاتصال الحديث :

تمهيد :

عالمنا عالم المعلومات والإعلام ، ففي اليوم الواحد يتم إجراء مكالمات تقدر بنحو (٣٥ مليون) كلمة بين مختلف أنحاء العالم . وتبث عشرات الآلاف ـ من الساعات . برامج تليفزيونية من المراكز المختلفة في العالم ، وتطبع مئات أنواع المطبوعات على شكل صحف ، نشرات ، مجلات وكتب ، لتوضع بين يدي الناس والمعلومات التي تصل إلى الناس خلال عقد ـ في الوقت الحاضر ـ تعادل ما كان يصلهم في مئات السنين في القرون الماضية ، فحتى ما قبل ٥٠ سنة من الآن ، كان يلزم ٤٠ سنة أخرى لكي تبلغ المعلومات العلمية للإنسان الضعف أما الآن فيكفي لذلك أربع سنوات فقط وربما لهذا السبب يطلق عليه عالمنا المعاصر عالم المعلومات(١) .

فعن الوسائل الإلكترونية : (الإذاعة ، التليفزيون ، السينما) التي تمثل جزءا هاما من هذه السلسلة الاتصالية أتحدث بتناول أطراف تلك الوسائل بشيء من التفصيل :

١ ـ الراديو : (المذياع) :

إن ظهور الإذاعة عام ١٩٢٠م كان بمثابة ثورة جذرية في وسائل الاتصال وسرعان ما تطورت الإذاعة وازدادت أهميتها نتيجة لقوة تأثيرها وسرعة انتشارها فألغى الاتصال الإذاعي عامل المكان وجعل المجتمع المعاصر مجتمعا يرفض الحدود الرقابية على الأقل على مستوى الكلمة المنطوقة (٢) .

وفي الوقت الحالي أصبح الراديو (المذياع) ، سلاحا من أسلحة الحرب النفسية وأداة رئيسة في العلاقات الدولية وقد جعل اختراع الترانزستور (الراديو) وسيلة

(١) مجلة التوحيد . مجلة إسلامية جامعية ع/(٨٨) ، ص ٧١ . الشركة العربية للتوزيع . بيروت . د . ق .

(٢) دور الإعلام الديني في تغيير بعض قيم الأسرة الريفية والحضرية / د / نوال عمر . ص٦٣ ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة سنة ١٩٨٤ ، نقلا عن الحرب النفسية في المنطقة العربية د / حامد ربيع .

الاتصال الرئيسة لغالبية شعوب العالم الثالث ، فقد أنهت الإذاعات الموجهة عزلة المواطنين وخففت من وقع الاحتكار الإعلامي مما جعل الجماهير على وعي بوجهات النظر المختلفة وأصبح « للجبهة الداخلية » أهمية جديدة (١) .

جمهور الراديو (المذياع) :

وعن جمهور الراديو (المذياع) يذكر الدكتور أحمد بدر :

خلصت نتيجة دراسات جمهور الراديو في الولايات المتحدة الأمريكية لما يلي :

أ ـ أن المستمع للراديو ينفق وقتا أطول مع الراديو عما كان متوقعا .

ب ـ أن المستمع الذي تعود الاستماع لمحطة معينة يصعب تغيير ما تعود عليه .

جـ ـ الاهتمام بالأخبار والاعتماد على الراديو لمعرفة الأخبار كان أمر ملحوظا .

د ـ الاستخدام من أجل الترويح والتسلية كان ملحوظا كذلك . .

هـ ـ الشكوى من ثلث المستمعين من الإعلانات المذاعة . . ولكن ٢٪ فقط تحولوا إلى محطة أخرى .

و ـ المستمع هو صاحب التحكم فيما يرغب سماعه كما لا توجد محطة واحدة ترضى جميع الأذواق (٢).

٢ ـ التليفزيون (التلفاز) :

تنامت الإذاعة إلى أن شوهدت صورة المتحدث وحركته فيما عُرف بالتليفزيون. وقد يقال إن التليفزيون مجرد راديو ينقل الصورة إلى جانب الصوت ، لكن الواقع يتجاوز ذلك بكثير ، بعد المكانة التي أصبح يحتلها بين وسائل الاتصال الحديثة وفي حياة المواطن المعاصر (٣) .

---

(١) الإعلام الدولى / د / جيهان شتا . ص٣ . دار الفكر العربي القاهرة سنة ١٩٨٦ .

(٢) الاتصال بالجماهير بين الإعلام والتطويع والتنمية . د / أحمد بدر . ص ٦٠/ ٦١ .

(٣) دراسات في الاتصال . د / عبد الغفار رشاد . ص١١١ .

ويُعد التليفزيون في نظر الكثيرين وسيلة تسلية وترفيه ، وفي حين ينظر إليه البعض الآخر على أنه جهاز له إمكانيات إعلامية وسياسية وتعليمية واسعة حيث يمكن أن يلعب دورا خطيرا في حياة الأمة (١) .

جمهور التليفزيون (التلفاز) :

ومن الدراسات التي أجريت عن مدى تأثر جمهور التليفزيون بهذه الوسيلة جاءت النتائج على النحو التالي : ـ

أ ـ يستمر التليفزيون بالقيام بدور المنافس الرئيسي للصحف كمصدر للأخبار .

ب ـ يهتم الجمهور بالمسائل العامة أكثر من اهتمامه بالآثار السلبية المحتملة للتليفزيون .

جـ ـ يُعد التليفزيون أكثر المصادر الإعلامية التي يصدق الجمهور أخبارها في حين تعتبر الصحف أقل هذه الأوساط تصديقا .

د ـ إذا خُير الجمهور بالاحتفاظ بوسيلة واحدة فقط من وسائل الإعلام فإن الجمهور يختار التليفزيون بأغلبية كبيرة (٢) .

*** بين الإذاعة والتليفزيون في مجال المنافسة الدولية :**

إن جميع الدول الإسلامية تستخدم الإذاعة والتليفزيون والوسائل الثقافية ولكن الحقيقة أن الدول الغربية وحدها هي المستفيد الحقيقي منها ؛ لأن جميع الدول الإسلامية تستفيد من البرامج المعدة في الدول الغربية ، وفي بعض الدول لا تزيد نسبة البرامج المعدة محليا على ٢٠٪ من مجموع البرامج ، فيما يشكل الباقي برامج مستوردة . تدعي إذاعة صوت أمريكا أن لها أسبوعيا (١٠٤ ملايين) مستمع . من الكبار ، في حين تقدرهم الإذاعة البريطانية بـ (٧٥ مليون) فقط .

إن إلقاء نظرة على المعدل السنوي لساعات البرامج التليفزيونية المصدرة من هذه

---

(١) دور الإعلام الديني في تغيير بعض قيم الأسرة الريفية والحضرية ، د / نوال عمر ، ص٧٢ .

(٢) الاتصال بالجماهير بين الإعلام والتطويع والتنمية . د / أحمد بدر . ص٦٢ .

الدول ، يثبت ذلك ومن الأمثلة الإيضاحية لهذا أن أمريكا تحوز المقام الأول في هذا المجال حيث يبلغ عدد ساعات برامجها المصدرة (١٥٠,٠٠٠ ساعة) تليها بريطانيا وفرنسا بـ (٢٠,٠٠٠ ساعة) ثم ألمانيا بـ (٨٠٠٠ ساعة) (١) .

والإحصائية لا تحتاج إلى تعليق .

٣ ـ السينما :

إن ظهور الصور المتحركة عُرف عام ١٨٩٤ من خلاصة البحوث العلمية لجهاز الصورة لأديسون ، التي عرفت باسم كينتوسكوب (٢) .

وشاشة السينما تنقل لك المناظر المتكاملة والواقعية وهي بذلك تلغي المسافات والأزمان ، وذلك أن المشاهد عندما يقضي ساعتين أمام شاشة السينما قد يسافر فيها عبر أماكن ومسافات واسعة ، وسنوات وقرون طويلة فيرى أطراف العالم ، ونماذج الماضي ، وقد تطورت مختلف الأدوات المستخدمة في التصوير والإضاءة وتحميض الأفلام وإعدادها ، مما يجعل تأثير وإنتاج الأفلام على نطاق واسع (٣) .

رؤيا فيما سبق :

جملة ما ذكر من وسائل إلكترونية تمثل النتاج العقلي لاكتشاف وتطوير هذه الوسائل وبالتالي فهي قد تقوم وفق توجهاتها بأحد الدورين : إما بنائي وإما هدمي؛ لاستحواذها مجتمعة على جميع طبقات المجتمع ولهذا فقد اعتبرت من عوامل السقوط لبعض المذاهب فجاء الاهتمام بها لتوجيه الجماهير لما يراد ترسيخه في نفوسهم .

وفي هذا المقام تقول الدكتورة / جيهان شتا :

« ولقد كان هناك في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين رأى يقول بأن الراديو قادر على التأثير على عقول البشر وأنه يمكن استخدامه بشكل فعال في

---

(١) مجلة التوحيد / ع / (٨٨) . ص ٧٩ / ٨٠ .

(٢) دور الإعلام الديني . . . د / نوال عمر . ص ٦٦ . مرجع سابق .

(٣) دراسات في الاتصال . د / عبد الغفار رشاد . ص١١٢ ، ١١٣ بتصرف مرجع سابق .

الدعاية ، وكان الروس والألمان أول من أدركوا قدرات الراديو وقاموا باستخدامه كوسيلة للدعاية الدولية تعمل جنبا إلى جنب مع الدبلوماسية في تحقيق النفوذ والتأثير أو كما قال جوبلز : وزير الدعاية النازي (الراديو يمكن أن يعمل كبديل للدبلوماسية) (١) .

وأيضا حينما سئل الزعيم البولندي البارز / ليش واليسا عن أسباب انهيار النظم الشيوعية في دول شرق أوربا . أشار إلى التليفزيون وقال : إن كل ما حدث بدأ من التليفزيون . وتعتبر السينما هي الأخرى من وسائل البناء بتحقق شرطية حسن الاستخدام ؛ وإذا لم يحسن استخدامها فبالتالي هي أخطر مما سبق ذكره وذلك بسبب ما تستطيعه من تجسيم وتقريب البعيد وإيضاح أو تكبير للغامض وهذا ما فطنت إليه بعض الدول ومن بينها مصر حيث رأيناها لا تكتفي بفرض الرقابة على الأفلام الأجنبية والمحلية فحسب بل تلجأ إلى تحريم مشاهدة بعض الأفلام على الأحداث واليافعين الذين لم يتجاوزوا السادسة عشرة من عمرهم (٢) .

ومن هذا الإيضاح أرى العملية الإعلامية من خلال تلك القنوات الاتصالية بالجماهير تعد مسئولية تربوية وأخلاقية في المقام الأول بغض النظر عن النواحي الابتكارية فيها من شاشات ملونة وآلات التحكم وغير ذلك مما يُظهر جانب الحداثة والعصرية في هذه الوسائل فتعد وسائل هدم إذا لم يكن بينها وبين الجوانب الأخلاقية والقيم الدينية ترابط وتوافق .

وفي الحقيقة أن الإعلام إن وضع في أيد أمينة وحكمته سياسة بنَّاءة هادفة كان له أثر كبير وسريع على حياة الناس وتوجهاتهم (٣) وصدق الله تعالى حيث يقول : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ (٤) .

---

(١) الإعلام الدولي . د / جيهان شتا . ص٣ ، مرجع سابق .

(٢) دور الإعلام الديني . . . د . نوال عمر . ص ٦٧ بتصرف ، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، ص٢٠٥ . مرجع سابق .

(٣) أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام . منى حداد يكن ـ ص٢٦ ـ مؤسسة الرسالة . بيروت ط٣ سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

(٤) سورة إبراهيم آية : ٢٤ .

القسم الثاني من الوسائل الحديثة

(الوسائل المطبوعة)

وتضم : الصحافة ، والمجلات ، والكتب ، والمطبوعات المختلفة .

١ ـ الصحافة :

تستخدم كلمة الصحافة Press بدرجات مختلفة من الشمول فهي تعني أحيانا الجرائد الإخبارية news papers . كما تعني أحيانا جميع المطبوعات والدوريات ، وقد تعني أحيانا أخرى جميع وسائل الإعلام الجماهيري (١) .

والصحافة تحمل الرسائل في شكل كلمات مطبوعة توضع في نظام وتسلسل خاص وتوضع الرسائل في شكل منسق جذاب فتقسم الصفحة بين عناوين وصور وأنباء وأفكار (٢) .

وقد ظهرت الصحافة المطبوعة أول مرة في بلاد الصين في عهد حكم أسرة تونج « Tong » في القرن السابع الميلادي حتى عرفت الصين فنون الحفر والطباعة القالبية .

وقد كان اختراع الطباعة بالشكل المتحرك على يد جوتنسبرج في الفترة ما بين (١٤٣٠ ـ ١٤٥٠ م) منسجما مع عصور النهضة في أوربا وإيذانا بسرعة نقل الأخبار وإصدار الصحف وذيوعها وانتشارها وقد وصل عدد الصحف الموجودة في العالم إلى حوالي ٥٠,٠٠٠ صحيفة قابلة للزيادة والنقصان (٣) .

٢ ـ المجلات :

والمجلة بدورها تختلف رسالتها عن الرسالة التى تحتوى عليها الصحف حيث إن المجلات تعمد إلى تقديم مضامينها المطبوعة في شكل مقالات مطولة نسبيا .

---

(١) الاتصال بالجماهير ... د . أحمد بدر . ص٢٩ باختصار .

(٢) السابق ، ص١١٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص٣٥ .

بالإضافة إلى ذلك يمكن القول : إن إحدى ميزات المجلة هي في تقديمها لألوان مختلفة من التسلية والمعلومات والأفكار . . . وأيضا تحاول إرضاء أذواق قطاعات كثيرة من القراء (١) .

٣ ـ الكتب والمطبوعات :

أصبح الكتاب واحدا من الأوساط الإعلامية الأساسية للجماهير إلى جوار ما سبق ذكره .

يقول الدكتور / عمارة نجيب :

« يجيء الكتاب عقب الاتصال الشخصي في أهميته وفاعليته وتأثيره إذا تضمن موضوعا متكامل الجوانب مشروحا بالطريقة التي تدع القارئ مقتنعا بما فيه راضيا عما احتواه ، أو عاجزا عن إبطال قراراته ونتائجه لاستنادها إلى المنهج العقلي والحقيقة المجردة فتقوم به الحجة على القارئ ويتضح به البرهان للمستمع . ويأتي الكتاب في هذه المرتبة المتقدمة لقدرته على حرية النطق بالكلمة (٢) .

وقد أكد القرآن الكريم أهمية الكتاب كأداة معاونة على نشر الدعوة وتبليغها وحمايتها وإقامة الحجة بها ، حين جعله من النعم المصاحبة للنبوة وجعله من الوسائل التي يستند إليها في الجدل وإقامة الحجة (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٤) .

وقال عز من قائل : ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾(٥) .

ولا يخفى فضلا عن هذا شأن الكتاب في تكوين الآراء والاتجاهات وتشكيل الثقافات لدى الأفراد والجماعات ، مضافا إلى هذا سائر المطبوعات المختلفة التي تحمل الرسائل الإعلامية ، ووسائل الاتصال قديمها وحديثها التى تتكامل وتتحد لكي تخاطب جميع القطاعات في المجتمع .

---

(١) المرجع السابق ، ص٤٧ بتصرف . (٢) فقه الدعوة والإعلام . د / عمارة نجيب . ص٢٣٦ .
(٣) المرجع السابق ، ص٢٤٠ . (٤) سورة البقرة آية : ٥٣ . (٥) سورة النساء آية : ٥٤ .

المبحث الرابع

عالمية الدعوة الإسلامية

من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

أولاً : عالمية الرسول ﷺ وذلك فى محورين :

المحور الأول : (خصوصية الرسول ﷺ بالعالمية فى نفسه) .

المحور الثانى : (خصوصية الأنبياء السابقين بأقوامهم تثبت عالمية الرسول ﷺ) .

ثانيًا : عالمية المنهج الإسلامى .

ثالثًا : عالمية المنهج الإسلامى من خلال شموليته .

obeikandl.com

obeikandl.com

عالمية الدعوة الإسلامية

من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

المحور الأول :

١ ـ خصوصية الرسول ﷺ بالعالمية فى نفسه من خلال نص القرآن الكريم :

لقد ختمت الرسالات السماوية ببعثة الرسول محمد ﷺ وهذه الخاتمية توجب له ﷺ خصائص تناسب مقام الختم ونهاية العهد بالرسل .

أولا : عالمية الرسول ﷺ من خلال نص القرآن الكريم (بلفظ الناس) :

١ ـ قال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ (١) .

٢ ـ وقال عز من قائل : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُو يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢) .

ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله ـ فى تفسير هذه الآية :

يقول تعالى : لنبيه ورسوله محمد ﷺ قل : (يا محمد) يا أيها الناس وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربى والعجمى : إنى رسول الله إليكم جميعا ، أى جميعكم . . . إلخ (٣) .

وقال الإمام البيضاوى فى نفس الآية : الخطاب عام ، كأن رسول الله ﷺ مبعوثا إلى كافة الثقلين ، وسائر الرسل إلى أقوامهم (٤) .

---

(١) سورة النساء آية : ٧٩ . (٢) سورة الأعراف آية : ١٥٨ .

(٣) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير جـ٢ / ٢٦ ـ مكتبة التراث الإسلامى ـ سوريا ـ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

(٤) أنوار التأويل وأسرار التنزيل : البيضاوى ـ جـ ١ / ٣٦٣ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت طـ ١ ـ ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٣ ـ وقال تعالى فى نفس السياق : ﴿ وما أرْسَلْنَاك إلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً ونَذِيراً ولكنَّ أكْثَر النَّاس لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

ولفظ كافة كما ورد فى معاجم اللغة : يدل على العموم ـ يقال فى اللغة : جاء الناس كافة ، أى جميعا (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وقَاتِلُوا الْمُشْرِكِين كافَّةً كمَا يُقَاتِلُونكُمْ كافَّةً ﴾ (٣) .

ثانيا : عالمية الرسول ﷺ بنص القرآن الكريم (بلفظ العالمين) :

١ ـ قال تعالى : ﴿ وما أرْسَلْنَاك إلاَّ رحْمَةً لِّلْعَالمِينَ ﴾ (٤) .

يقول الإمام ابن كثير فى تفسير هذه الآية : يخبر تعالى أن الله جعل محمدا ـ ﷺ ـ رحمة للعالمين أى أرسله رحمة لهم كلهم فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد فى الدنيا والآخرة ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِين بَدَّلُوا نعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ (٥) .

٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٦) .

ثالثًا : عالمية الرسول ﷺ بنص القرآن الكريم (بلفظ مَنْ) :

١ ـ قال تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ وأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (٧) .

يقول الإمام البيضاوى فى قوله تعالى : ﴿ ومن بلغ ﴾ عطف على ضمير

---

(١) سورة سبأ آية : ٢٨ .

(٢) المعجم الوسيط : جـ ٢ / ٨٢٤ / مادة كفف .

(٣) سورة التوبة : آية ٣٦ .

(٤) سورة الأنبياء : آية ١٠٧.

(٥) سورة إبراهيم آية : ٢٨ . وانظر تفسير ابن كثير جـ ٣ / ٢٠١ .

(٦) سورة الفرقان آية : ١ .

(٧) سورة الأنعام آية : ١٩ .

المخاطبين ، أى لأنذركم بـه يا أهل مكة وسائر من بلغه مـن الأسود والأحمر ، أو من الثقلين ، أو لأنذركم به أيها الموجودون ومن بلغه إلى يوم القيامة (١) .

٢ ـ وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (٢) .

بعد هذه الآيات الكريمة التى تبين بإيضاح لا لَبْسَ فيه عالمية الرسول ﷺ ، توجد إشكالية قد يدعيها البعض ، وهى أن عالمية الدعوة الإسلامية المتمثلة فى عالمية الرسول ﷺ لم تتشكل وتتبلور فى عقل النبى ﷺ إلا بعد أن هاجر إلى المدينة وأقام دولته وأسس قواته الغازية وأصبح يتطلع بعد ذلك إلى الأمم المجاورة ليبسط عليها نفوذه ويسيطر عليها بدعوته (٣) .

وأقول: هذه إشكالية باطلة وتزال من خلال مراجعة النص القرآنى فى العهد المكى ، حيث لم تكن قوة ولا دولة ولا قوات غازية ومن هذه الآيات : ـ

أ ـ قال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٤) .

ب ـ وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٥) .

جـ ـ وقال عز من قائل : ﴿ ... قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾(٦) .

د ـ وقال فى محكم التنزيل : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٧) .

---

(١) تفسير البيضاوى ، ٢٩٦/١ .

(٢) سورة الشورى آية : ٧ .

(٣) راجع : دراسات فى الاستشراق ورد شبه المستشرقين حول الإسلام ـ د / على على شاهين صـ٢٧٩ وما بعدها ـ دار الطباعة المحمدية ـ القاهرة ـ طـ ١ ـ ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

(٤) سورة القلم آية : ٥٢ .

(٥) سورة يوسف آية : ١٠٤ .

(٦) سورة الأنعام آية : ٩٠ .

(٧) سورة الفرقان آية : ١ .

قال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ : فى قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ أى إنما خصه بهذا الكتاب المفصّل العظيم المبين المحكم الذى : ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (١) .

الذى جعله فرقانا عظيما ليخصه بالرسالة إلى من يستظل بالخضراء ويستقل على الغبراء (٢) .

يقول الدكتور / محيى الدين عبد الحليم :

وهذه النصوص القطعية والصريحة تؤكد أن الإسلام خطاب إلى البشر كافة وأن توجيهه بلسان عربى لا يعنى تحويله إلى وقف عربى ، كما تؤكد أن العرب مبلغون وليسوا محتكرين أو نظارا للوقف (٣) .

وأقول : إن الآيات سالفة الذكر وإن كانت تتحدث عن القرآن الكريم وتوجيهه إلى العالمين ـ الذين هم جميع الخلق من إنس وجن كما ذكره ابن كثير وغيره (٤) .

فالحديث عن القرآن الكريم هنا باعتبار الهداية وذكر الرسول ـ ﷺ ـ باعتبار التبليغ .

٢ ـ عالمية الرسول ﷺ من خلال السنة :

ومما يزيد الأمر إيضاحا لعالمية الرسول ﷺ هو ثقة الداعية الأولى ويقينية الأمر بعالميته فى كلا العهدين المكى والمدنى .

العهد الأول : العهد المكى :

أ) أخرج البخارى فى صحيحه ـ بسنده ـ عن أبى الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال : كانت بين أبى بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ محاورة فأغضب أبو بكر عمر ، فانصرف عمر عنه

---

(١) سورة فصلت آية : ٤٢ .

(٢) ابن كثير جـ ٣ / ٣٠٨ .

(٣) راجع الدعوة الإسلامية والإعلام الدولى ـ صـ٦٤ .

(٤) راجع تفسير ابن كثير ـ ٤ / ٤٨ .

مغضبا، فأتبعه أبوبكر يسأله أن يستغفر الله له، فلم يفعل، حتى أغلق بابه فى وجهه، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ قال أبو الدرداء : ونحن عنده ، فقال رسول الله ﷺ : « **أما صاحبكم هذا فقد غَامَرَ** » أى غَاضَب وحَقَدَ . قال: وندم عمر على ما كان منه ، فأقبل حتى سلم ، وجلس إلى النبى ﷺ ، وقص على رسول الله ﷺ وقال : « **هل أنتم تاركو لى صاحبى ؟ إنى قلت : أيها الناس، إنى رسول الله إليكم جميعا ، فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت...** » (١) .

ب ـ وأخرج الإمام أحمد بسنده ـ عن على كرم الله وجهه قال : جمع رسول الله ـ ﷺ ـ أو دعا رسول الله ـ ﷺ ـ بنى عبد المطلب وهم رهط ، وكلهم يأكل الجذعة (٢) ، ويشرب الفرق (٣) فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو ، كأنه لم يمس ثم دعا بغمر (٤) ، فشربوا حتى رووا ، وبقى الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب ، وقال : « . . . يا بنى عبد المطلب ، إنى بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة . . . » (٥) .

ووجه الدلالة مما سبق ، أن الحديث الأول وإن كان فى معناه العام يبين مناقب أبى بكر ـ رضي الله عنه ـ إلا أنه قد حدد فى العهد الأول للدعوة الإسلامية ، وبالمثل فالحديث الثانى ، وإن أظهر معجزة رسول الله ـ ﷺ ـ فى تكثير الطعام والشراب إلا أنه أيضا يظهر عالمية الرسول ـ ﷺ ـ فى باكورة الدعوة الإسلامية .

---

(١) البخارى : ك فضائل أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ب ـ مناقب أبى بكر (٣٦٦١ ـ فتح البارى ١٠/ ٥٤٢ / ٥٤٥ .

(٢) الجذع من الرجال : الشاب الحدث ، ومن الإبل : ما استكمل أربعة أعوام ودخل فى الخامسة ومن الخيل والبقر : ما استكمل سنتين ودخل فى الثالثة ومن الضأن : ما بلغ ثمانية أشهر أو تسعة ، راجع المعجم الوسيط ١/ ١١٧ . مادة جذع .

(٣) الفرق : مكيال معروف بالمدينة ، راجع مختار الصحاح صـ ٥٠٠ مادة فرق ، .

(٤) الغمر : أصغر الأقداح يقتسم القوم به الماء بينهم إذا قل فى السفر ، انظر المعجم الوسيط ص/ ٦٨٥ مادة غمر .

(٥) أحمد ١/ ١٥٩ ، واسناده صحيح كما قال الشيخ أحمد شاكر فى تحقيقه برقم (١٣٧١) وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/ ٣٠٢ وعزاه لأحمد وقال : رجاله ثقات .

أخرج البخارى فى صحيحه ، بسنده عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « **أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة** » (١) .

ب ـ ختم النبوة برسول الله ـ ﷺ ـ :

عن أبى بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها ، وترك فيها موضع لبنة لم يضعها ، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون : لو تم موضع هذه اللبنة ؟ فأنا فى النبيين موضع تلك اللبنة** » (٢) .

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « **إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى** » (٣) ثم يؤكد ذلك المعنى رسول الله ـ ﷺ ـ على أنه حقيقة لا مراء ولا جدال فى مصداقيتها فيقول فى الحديث الذى رواه جبير ابن مطعم ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « **إن لى أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله تعالى به الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى** » (٤) .

---

(١) البخارى : ك التيمم ١/ ٥١٩ (٣٣٥) من حديث جابر . فى رواية أبى هريرة عند مسلم ـ ك ـ المساجد ومواضع الصلاة ـ ١/ ٣٧١ (٢٥٣) يقول رسول الله ﷺ : « وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بى النبيون . . . ».

(٢) البخارى : ك المناقب ب خاتم النبيين رسول الله ـ ﷺ ـ ٦ / ٦٤٥ (٣٥٣٤ ، ٣٥٣٥) عن جابر وأبى هريرة ، مسلم ـ ك ـ الفضائل ـ ب ـ ذكر كونه رسول الله ﷺ خاتم النبيين ٤/ ١٧٩٠ (٢٢٨٦) عن أبى هريرة ، (٢٢٧٨) عن جابر .

(٣) الترمذى : ـ ك ـ الرؤيا ـ ب : ذهبت النبوة وبقيت المبشرات ٤/ ٤٦٢ ـ (٢٢٧٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح . غريب من هذا الوجه .

(٤) البخارى : ـ ك ـ المناقب ب / ما جاء فى أسماء رسول الله ﷺ ـ ٦/ ٦٤١ (٣٥٣٢) ، مسلم ـ ك ـ الفضائل ـ ب ـ فى أسمائه ﷺ ـ ٤/ ١٨٢٨ (٢٣٥٤) .

جـ ـ لا يقبل من الناس جميعا سوى الإسلام :

عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **والذى نفسى بيده ، لا يسمع بى أحد من هذه الأمة ـ يهودى ولا نصرانى ـ ثم يموت ولا يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار** » (١) .

د ـ البشرى بانتشار الإسلام فى جميع أنحاء العالم :

وإذا كان رسول الله ﷺ ينظر إلى المستقبل من خلال مرآة النبوة ، فقد نظر إلى مستقبل الدين فوجد أنه سيبلغ ما بلغ الليل والنهار .

فعن تميم الدارى ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين ، يُعز عزيزا أو يذل ذليلا ، عزًا يُعز به الإسلام وذُلا يذل به الكفر** » .

فكان تميم الدارى يقول : (قد عرفت ذلك من أهل بيتى ، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ، ولقد أصاب من كان كافرا منهم الذل والصغار والجزية) (٢) .

ثم يذكر رسول الله ﷺ قائلا : « إن الله زوى لى الأرض مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها » (٣) .

(الجانب التحليلى للأحاديث التى وردت فى كلا العهدين المكى والمدنى) :

تبين فيما سبق من نص الحديث النبوى الناطق بعالمية الرسول ﷺ فى العهدين المكى والمدنى ، فإذا كانت الأحاديث التى تثبت العالمية لرسول الله ﷺ فى العهد

---

(١) مسلم : ك ـ الايمان ـ ب ـ : وجوب الإيمان برسالة نبينا رسول الله ﷺ إلى جميع الناس١/ ١٣٤(١٥٣) .

(٢) أحمد ٤/ ١٠٣ ، الطبرانى فى الكبير ٢/ ٥٨ (١٢٨) .

والحاكم ٤/ ٤٣٠ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبى .

(٣) مسلم ـ ك ـ الفتن ـ ب ـ هلاك الأمة بعضهم ببعض ـ ٤/ ٢٢١٥ (٢٨٨٩) .

المكى ، فما الفائدة من أحاديث العالمية فى العهد المدنى وكلاهما يؤدى نفس الغاية .

أقول كما سبق أن أشرت إلى ذلك :

أولا : بالنسبة للعهد المكى فإن مبدأ العالمية كان خاصية من خصائص الدعوة الإسلامية منذ عهدها الأول لإزالة ما يصدر من إشكالات حول مطامع النبى رسول الله ﷺ بعد الهجرة وتكوين جيشه .

ثانيا : كانت المدينة كما هو ثابت يوجد بها أكبر الجاليات والتجمعات اليهودية، فلابد من توجيه الخطاب بالعالمية لهم مرة أخرى لئلا يتوهموا بأن الرسالة الإسلامية لكل العالم سواهم لأنهم أهل كتاب ، ولهذا كان النداء بالعالمية مرة أخرى فى العهد المدنى . والله أعلم .

المحور الثانى : (خصوصية الأنبياء السابقين بأقوامهم تثبت عالمية الرسول ﷺ):

إذا كان نص القرآن الكريم والحديث الشريف يعطيان صورة متكاملة لعالمية الرسول ﷺ ، نجد أن القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف عند ذكر الأنبياء السابقين وصفهم بأنهم موجهون إلى أقوامهم دون غيرهم ومن هذه الآيات التى ذكرت بعض الأنبياء ما يلى :

أولا : خصوصية نبى الله نوح عليه السلام بقومه :

قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢) .

يقول الإمام ابن كثير فى تفسير هذه الآية : يخبر الله تعالى عن نوح عليه السلام وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض من المشركين عبدة الأصنام أنه قال لقومه: ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة نوح آية : ١ .
(٢) سورة هود آية : ٢٥ .
(٣) ابن كثير ٢/ ٤٤٢ .

ثانيا : خصوصية نبى الله إبراهيم عليه السلام بقومه :

وهذا أبو الأنبياء عليه السلام تتحدث عنه آيات القرآن الكريم أنه رسول لقومه دون غيرهم ، ومن هذه الآيات :

قال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

وقال أيضا : ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ (٣) .

والملاحظ أن التوجه الخطابى من إبراهيم عليه السلام هو لقومه وإن كان أبوه يدخل تغليبا فى قومه إلا أنه خصص بتوجه الخطاب له ، لأنه كان عابدا للأصنام فبدأ به إبراهيم عليه السلام لئلا يقول قائل : لماذا يترك أباه ويتوجه إلينا نحن بدعوته .

ثالثا : خصوصية نبى الله موسى عليه السلام بقومه :

ويتوالى الحديث عن الأنبياء عليهم السلام ولكنهم جميعا فى دائرة القومية ونطاق المحلية الخاص بقومهم فقط .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (٤) .

يقول صاحب الظلال فى هذه الآية :

والتعبير يوحد بين صيغة الأمر الصادر لموسى والصادر لمحمد صلاة الله وسلامه عليهما ، تمشيا مع نسق الأداء فى السورة، فإذا كان الأمر فى أول السورة: ﴿ لِتُخْرِجَ

(١) سورة الشعراء آيتا رقم : ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) سورة العنكبوت آية : ١٦ .

(٣) سورة الصافات آيات : ٨٣ ـ ٨٥ .

(٤) سورة إبراهيم آية : ٥ .

النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ .

والأمر هنا : ﴿ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ الأول : للناس كافة ، والثانى لقوم موسى خاصة ، ولكن الغاية واحدة [١] .

رابعا : خصوصية نبى الله عيسى عليه السلام بقومه :

قال تعالى : ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [٢] .

قال العلامة الخازن : فى تفسير هذه الآية ، أى ونجعله رسولا إلى بنى إسرائيل وكان أول أنبياء إسرائيل ، يوسف عليه السلام وآخرهم عيسى ابن مريم عليه السلام . . . إلخ) [٣] .

وقال البيضاوى : (. . . وتخصيص بنى إسرائيل لخصوص بعثته إليهم أو للرد على أنه مبعوث إلى غيرهم) [٤] .

خامسا : خصوصية نبى الله هود عليه السلام بقومه :

قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [٥] .

سادسا : خصوصية نبى الله صالح عليه السلام بقومه :

قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [٦] .

سابعا : خصوصية نبى الله شعيب بقومه :

قال تعالى : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧)

---

(١) فى ظلال القرآن / الشيخ / سيد قطب ٤/٢٠٨٨ ، دار الشروق ـ القاهرة ـ ط٢٢ ـ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

(٢) سورة آل عمران آية : ٤٩ .

(٣) لباب التأويل فى معانى التنزيل : العلامة الخازن ١/٣٤٩ ـ دار الفكر ١٣٩٩هـ م ١٩٧٩م د . ق .

(٤) تفسير البيضاوى : ١/ ١٦٠ .

(٥) سورة الأعراف آية : ٦٣ .

(٦) سورة الأعراف آية : ٧٣ .

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ (١) .

وهكذا باقى رسل الله عليهم الصلاة والسلام فالآيات واضحة بتوجيههم إلى أقوامهم وهذا ظاهر فى جميع الأنبياء والمرسلين .

ولقد جمعهم رسول الله ﷺ فى حديثه الذى رواه الإمام البخارى بسنده عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجد وطهورا ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة** »(٢).

ففى الحديث تحديد وإطلاق ، التحديد خاص بالأنبياء السابقين لأقوامهم ، والإطلاق خاص برسول الله ﷺ بعموم رسالته .

ثانيًا : عالمية المنهج الإسلامى

تمهيد :

إذا كان سيدنا محمد ﷺ هو النبى الخاتم والذى ثبت كما سبق أنه رسول عالمى فى نفسه وبخصائصه وأيضا باستعراض الجانب الخاص بتوجهات الأنبياء السابقين وظهور قوميتهم وانحصار دعواتهم فى حيز أقوامهم ومن تلك المقدمة فإن محمدا ﷺ كما تميز بخصائصه العالمية ، فالدلالة المنطقية تحتم عالمية المنهج الذى جاء به وإلا ما فائدة عالمية الرسول مع محدودية منهجه .

يقول الأستاذ / عمر عبيد حسنة فى مقدمة كتاب : من مرتكزات الخطاب الدعوى فى التبليغ والتطبيق :

« إن أمتنا الإسلامية تشكلت من خلال خطاب ، من خلال كتاب فكان القرآن ولا يزال خطاب عقيدة وعلم ووعى وفكر وثقافة ، كذلك جعل الجهاد به من أكبر

---

(١) سورة الشعراء آيات رقم : ١٧٦ ـ ١٧٨ .

(٢) سبق تخريجه فى عالمية الرسول فى العهد النبوى ـ ص ٨٨ .

أنواع الجهاد ، والتسلح به من أمضى الأسلحة وأكثرها أثرا ، والتذكير به من أهم عوامل الإنابة والتصويب والاستقامة والحصانة الحضارية لأنه يخاطب الإنسان بكل خصائصه وصفاته » (١) .

قال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (٣) .

« ولذلك كانت وسيلة الكفار فى المواجهة ، الهرب من الخطاب القرآنى الإعلامى ومحاولة إقامة الرقابات والحواجز دون وصوله إلى أسماعهم ، والشغب عليه ، حيث قص علينا القرآن حالهم وما أصابهم من الارتباك فقال تعالى متحدثا عن المشركين : ﴿ لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (٤) .

ومن هنا أقول : إذا كانت الدعوة الإسلامية صاحبت منهجًا عالميًا فهذا يتطلب أن الخطاب الإسلامى جاء منفتحًا على البشر جميعًا بصفة العموم ، ثم خصص أهل الكتاب لضرورة اتباعهم للمنهج الإسلامى وفى هذا من الدلالة على أمرين :

الأول : نسخ ديانتهم بالإسلام ، وهذا يقرر حتمية اتباعهم للإسلام .

الثانى : اشتمال الإسلام على أصول دعوتهم وشموليته مما هو أرحب من ذلك وفى هذا المبحث أركز على ما يلى :

أولاً : عموم الخطاب الإسلامى على البشر جميعًا .

ثانيًا : عموم الخطاب الإسلامى على أهل الكتاب .

---

(١) من مرتكزات الخطاب الدعوى فى التبليغ والتطبيق / عبد الله الزبير عبد الرحمن صـ١٥ ـ كتاب الأمة ـ سلسلة دورية تصدر كل شهر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ قطر ع (٥٦) ، ط ١ ذو القعدة ١٤١٧هـ / إبريل ١٩٩٧م .

(٢) سورة ق : ٤٥ .

(٣) سورة الفرقان : ٥٢ .

(٤) سورة فصلت : ٢٦ .

ثالثًا : شمولية المنهج الإسلامى ويتمثل فى :

١ ـ جانب العقيدة .

٢ ـ جانب العبادة .

٣ ـ جانب الأخلاق .

٤ ـ سعة التشريع الإسلامى لاستيعاب مستجدات ومتغيرات العصور القادمة .

أولاً : عموم الخطاب الإسلامى على البشر جميعًا

سبق الحديث عن عالمية الرسول ﷺ حيث خاطبه ربه قائلاً : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١) .

وتبين الآية السابقة أن النبى ﷺ خطابه عام على الناس كافة .

والعموم يراد به : عموم الخطاب الدعوى على الناس كافة وعلى العالمين قاطبة، دون انغلاق بفئة ، أو انحصار بنخبة . . . ؛ فالدعوة فى طبيعتها للكافة ، لا تقتصر على النخبة أو الصفوة من أهل التدين ، بل ينساح خطابها ويتسلل إلى كل قلب ، وكل عقل وكل بيت ، وكل ناد ، وكل مسجد ، جهارا لا لواذا (٢) .

ومن الآيات القرآنية التى جاءت عامة على البشر جميعًا ما يلى :

١ ـ عموم الخطاب بلفظ (الناس) :

أ ـ قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِ ن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون ﴾ (٣) .

وهذا خطاب موجه فى مجال العبادة لله وحده لعموم الناس حيث انفراده

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(٢) من مرتكزات الخطاب الدعوى فى التبليغ والتطبيق : ص٤١ .

(٣) سورة البقرة : ٢١ .

سبحانه بخلقهم جميعا .

وقد ورد الخطاب أيضًا بلفظ الناس ، فى مجالات شتى ؛ إما فى صورة الأمر، أو النهى ، أو الوعد ، أو الوعيد .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (١) .

والآيات فى هذا المقام عديدة :

٢ ـ عموم الخطاب بأن القرآن موجه للعالمين (بلفظ العالمين) :

أ ـ قال تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

ب ـ قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٣) .

جـ ـ وقال أيضًا : ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٤) .

٣ ـ عموم الخطاب بلفظ (« من » التى هى للعموم) :

أ ـ قال تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (٥) .

ب ـ وقال تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة لقمان : ٣٣ .

(٢) سورة التكوير : ٢٧ ـ ٢٩ .

(٣) سورة الفرقان : ١ .

(٤) سورة يوسف : ١٠٤ .

(٥) سورة الأنعام : ١٩ .

(٦) سورة الأنعام : ٩٢ .

قال الإمام ابن كثير فى هذه الآية : ﴿ . . . وَهَذَا كِتَابٌ ﴾ يعنى القرآن ﴿ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى ﴾ يعنى مكة ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ من أحياء العرب ومن سائر طوائف بنى آدم من عرب وعجم (١) .

وقال العلامة البيضاوى : فى قوله تعالى : ﴿ . . . وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ .

أهل الشرق والغرب (٢) .

٤ ـ عموم الخطاب بلفظ (بنى آدم) :

أ ـ قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

وفى نفس المعنى يقول عز من قائل :

ب ـ ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (٤) .

ومن خلال ما سبق أقول إن هذه الآيات وغيرها الكثير تحدد عالمية المنهج الإسلامى من خلال بدايته المتمثلة فى الخطاب العام للناس جميعا .

وإذا كان أهل الكتاب قد خوطبوا فى الخطاب العام لأنهم من الناس ومن العالمين ومن بنى آدم « إلا أن الخطاب قد انفتح عليهم مرة أخرى بصفة الخصوص ، لما لهم من إثارة العلم ومرجعية كتاب وليعلموا أنهم مطالبون باتباع رسالة الإسلام ، ودعوة النبى الخاتم سيدنا محمد ﷺ .

---

(١) انظر بن كثير جـ ٢ / ١٦٠ .

(٢) البيضاوى جـ١/ ٣١١ .

(٣) سورة الأعراف : ٢٦ ، ٢٧ .

(٤) سورة يس : ٦٠ ، ٦١ .

ثانيًا : عموم الخطاب على أهل الكتاب

بالحصر والتقصى فى آيات الكتاب الكريم وجد أن أهل الكتاب قد نودوا بلفظ أهل الكتاب اثنتين وثلاثين مرة (١) .

وفى ذلك من الدلالة على عظم الأمر الواجب للفت أنظارهم إليه .

ومن هذه الآيات :

١ ـ آيات عمت أهل الكتاب جميعا بلفظ (أهل الكتاب) :

أ ـ قال تعالى : ﴿ قُلْ يا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٢) .

ب ـ قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

يقول الإمام البيضاوى : (. . . وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب دليل على أن كفرهم أقبح لأن معرفتهم بالآيات أقوى وأنهم وإن زعموا أنهم مؤمنون بالتوراة والإنجيل فهم كافرون بهم . . . قل يا أهل الكتاب . . . كرر الخطاب والاستفهام مبالغة فى التصريح ونفى العذر لهم ، وإشعار بأن كل واحد من الأمرين مستقبح فى نفسه مستقل باستجلاب العذاب ، وسبيل الله فى دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الإسلام (٤) .

ومن هذه الآيات وغيرها نجد أن المسلم يأمره القرآن أن يتفاعل مع غيره من أهل

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقى صـ ١١٧ .

(٢) سورة آل عمران / ٦٤ .

(٣) سورة آل عمران : ٩٨ ، ٩٩ .

(٤) البيضاوى جـ ١ . صـ ١٧٢ ، بإيجاز .

الديانات والملـل ، دعوة ومجادلة ومجـاهدة ، وألا ينغلق بل ينـفتح بخطابه ليـمتد على العالمين ، يبشر بالحق الذى أوتيه يحي حركة السابقين الأولين من سلف الأمة الصالحين . . .) (١) .

٢ ـ توجه الخطاب إليهم بلفظ (بنى إسرائيل) :

أ ـ قال تعالى ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ (٢) .

ب ـ قـال تـعـالـى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(٣) .

جـ ـ وقال عز من قائل : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (٤) .

وأيضًا توجه الخطاب إلى اليهود والنصارى من خلال تصحيح معتقداتهم .

٣ ـ ما ورد من نسبتهم بنوة الأنبياء لله تعالى :

أ ـ قال تعـالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٥) .

* ما ورد من رد افتراء النصارى بشأن العقيدة :

---

(١) من مرتكزات الخطاب الدعوى فى التبليغ والتطبيق . صـ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) سورة البقرة / ٣٠ .

(٣) سورة النمل / ٧٦ .

(٤) سورة المائدة / ٣٢ .

(٥) سورة التوبة : ٣٠ ، ٣١ .

ب ـ قال تعالى : ﴿ لقدْ كفرَ الَّذينَ قَالُوا إنَّ اللَّهَ هُوَ الْمسيحُ ابْنُ مريمَ وقَالَ الْمسيحُ يا بَني إسْرائيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ ربِّي وربَّكُمْ إنَّهُ مَن يُشْرِكْ باللَّه فقدْ حرَّمَ اللَّهُ عَلَيْه الْجَنَّةَ ومأْواهُ النَّارُ وما للظَّالمينَ منْ أنصَارٍ ﴾ (١) .

وفى هذه الآية دفع لمن يدعى ألوهية عيسى عليه السلام (٢) .

جـ ـ وقال تعالى : ﴿ لقدْ كفرَ الَّذين قَالُوا إنَّ اللَّهَ ثَالثُ ثَلاثَةٍ وَما منْ إله إلاَّ إلهٌ واحدٌ وإن لَمْ يَنتهُوا عمَّا يقُولُونَ ليمسَّنَّ الَّذين كفرُوا منهُمْ عذابٌ أليمٌ ﴾ (٣) .

ثم يبين الحق حقيقة عيسى عليه السلام وأمه قائلا : ﴿ مَا الْمسيحُ ابْنُ مريْمَ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خلَتْ من قَبْله الرُّسُلُ وأُمُّهُ صدِّيقَةٌ كانا يأْكُلانِ الطَّعامَ انظُرْ كَيْفَ نُبيِّنُ لَهُمُ الآيات ثُمَّ انظُرْ أنَّىٰ يُؤْفَكُون ﴾ (٤) .

د ـ ويختم ذلك عيسى عليه السلام يوم القيامة بقوله : ﴿ ما قُلْتُ لَهُم إلاَّ ما أَمرتني به أَن اعْبُدُوا اللَّهَ ربِّي وربَّكُمْ وكُنتُ عَلَيْهِمْ شهيداً مَّا دُمْتُ فيهمْ فَلمَّا تَوفَّيْتني كُنت أنت الرَّقيب عَلَيْهِمْ وأنت عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شهيدٌ ﴾ (٥) .

٤ ـ رفض ما سوى الإسلام من أديان :

قال تعالى : ﴿ ومَن يَبْتَغ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ منْهُ وهُوَ في الآخرة من الْخَاسرينَ ﴾(٦) .

والمعنى كما يقول البيضاوى : « إن المُعرِض عن الإسلام والطالب لغيره فاقد للنفع ، واقع فى الخسران بإبطال الفطرة السليمة التى فطر الناس عليها ، واستدل به

---

(١) سورة المائدة : ٧٢ .

(٢) من يرد مزيدا من التفصيل فليراجع كتاب : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة لـ / بكر ذكر عوض ط أولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٦م .

(٣) سورة المائدة : ٧٣ .

(٤) سورة المائدة : ٧٥ .

(٥) سورة المائدة : ١١٧ .

(٦) سورة آل عمران : ٨٥ .

على أن الإيمان هو الإسلام إذ لو كان غيره لم يقبل ، والجواب إنه ينفى قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ، . . . . . » (١) .

وختاما يؤكد تلك الحقيقة رسول الله ﷺ بقوله : « **والذى نفسى بيده ، لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ـ ثم يموت ولا يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار** » (٢) .

ثالثًا : عالمية المنهج الإسلامى من خلال شموليته

الشمول كما ذكر الدكتور / محمد أبو الفتح البيانونى : أنه الإحاطة (٣) .

فعالمية المنهج الإسلامى تتمثل فى شموليته ، حيث إنه شمول يستوعب الزمن كله ، ويستوعب الحياة كلها ، ويستوعب كيان الإنسان كله (٤) .

وللمنهج الإسلامى مرتكزات فى شموليته وهى :

١ ـ شمول العقيدة الإسلامية .

٢ ـ شمول العبادة فى الإسلام .

٣ ـ شمول الأخلاق فى الإسلام .

٤ ـ سعة التشريع الإسلامى لاستيعاب مستجدات ومتغيرات العصور المقبلة

وتفصيل القول فى هذه النواحى كما يلى :

١ ـ شمول العقيدة الإسلامية :

أ) يقول الدكتور / القرضاوى : (فهى توصف بالشمول باعتبار أنها تفسر كل القضايا الكبرى فى هذا الوجود . القضايا التى شغلت الفكر الإنسانى ، ولا تزال تشغله وتلح عليه بالسؤال ، وتتطلب الجواب الحاسم الذى يخرج الإنسان من

---

(١) البيضاوى جـ ١ / صـ١٩٨ .

(٢) سبق تخريجه فى صفحة ص٨٩ .

(٣) المدخل إلى علم الدعوة / صـ١٢٦ .

(٤) الخصائص العامة للإسلام / صـ١٠٥ .

الضياع والشك والحيرة ، وينتشله من متاهات الفلسفات والنحل المتضاربة قديم وحديثا : قضية الألوهية ، قضية الكون ، قضية الإنسان ، قضية النبوة ، قضية المصير فإذا كانت بعض العقائد تعنى بقضية الإنسان دون قضية الألوهية والتوحيد ، أو بقضية الألوهية دون النبوة والرسالة ، أو بقضية النبوة ، دون قضية الجزاء الأخروى ؛ فإن عقيدة الإسلام قد عنيت بهذه القضايا كلها ، وقالت كلمتها فيها ، بشمول واضح ووضوح شامل) (١) .

والتصور الإسلامى للوجود يختلف عن سائر التصورات الأخرى قديمة كانت أو حديثة ، وإذا كان يلتقى مع بعض هذه التصورات فى بعض الجوانب الجزئية ، فإن الأسس التى تنبثق عنها هذه التصورات مختلفة كل الاختلاف . وهو تصور شامل لأنه يقدم نظرة عامة من جميع عناصر الوجود ولا شك أن معرفته ضرورية لكل مسلم كيما يدرك طبيعة هذا الوجود وحقائقه الكبرى ، حقيقة الألوهية . . . والذى يظهر هذه الحقائق فى صورتها النقية هو القرآن الكريم (٢) .

يقول الله تعالى :

١ ـ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(٣) .

٢ ـ ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٤) .

٣ ـ ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) الخصائص العامة للإسلام . صـ١١٣ .

(٢) معالم الثقافة الإسلامية ، صـ١٣ ، ١٤ ، د / عبد الكريم عثمان . ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م باختصار .

(٣) سورة الإخلاص .

(٤) سورة الحديد : ٣ .

(٥) سورة القصص : ٨٨ .

٤ ـ ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (١) .

٥ ـ ﴿ وَكَانَ للَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً ﴾ (٢) .

٦ ـ ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ (٣) .

٧ ـ ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

٨ ـ ﴿ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ (٥) .

٩ ـ ﴿ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾ (٦) .

١٠ ـ ﴿ وَإِذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ ﴾ (٧) .

١١ ـ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٨) .

١٢ ـ ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٩) .

١٣ ـ ﴿ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ (١٠) .

١٤ ـ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (١١) .

إن هذه الآيات تشير إلى مجمل العقيدة الإلهية فى الإسلام وهى عقيدة يستطيع

---

(١) سورة الأنعام : ١٠٢ .

(٢) سورة الأحزاب : ٢٧ .

(٣) سورة البقرة ١١٥ .

(٤) سورة البقرة : ٩٦ .

(٥) سورة الأعراف : ٥٤ .

(٦) سورة فصلت : ٥٤ .

(٧) سورة البقرة : ١٨٦ .

(٨) سورة الشورى : ١١ .

(٩) سورة الأنعام : ١٠٣ .

(١٠) سورة الرعد : ٤١ .

(١١) سورة الرعد : ١٥ .

أن يتقبلها كل عقل ، كما أنها أكمل عقيدة فى الدين .

فالآيات تشير إلى وجودين مختلفين كل الاختلاف : ـ

فأما الوجود الأول : خالق واحد لا أول له ولا آخر ، قدير على كل شىء ، عليم بكل شىء ، محيط بكل شىء ، وليس كمثله شىء .

والوجود الآخر : عالم مخلوق ، خلقه الله ، ويرجع إلى الله ويفنى كما يوجد بمشيئة الله [١] .

ب) وتوصف العقيدة الإسلامية بالشمول أيضًا ، لأنها عقيدة لا تقبل التجزئة، لابد من أن تؤخذ كلها بكل محتوياتها دون إنكار . . . ومن ثم أنكر القرآن أشد الإنكار على بنى إسرائيل إيمانهم ببعض الرسل دون بعض ، وببعض الكتاب دون بعض .

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [٢] .

ويقول تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [٣] .

٢ ـ شمولية العبادة فى الإسلام :

عالمية المنهج الإسلامى من الجانب الشمولى للعبادة يتضح بدون خفاء حيث إن العبادة فى الإسلام مرتبطة من ناحية أنها يقصد بها وجه الله ، ومن ناحية أخرى الأثر المترتب عليها ، بمعنى ظهور أثر العبادة فى السلوك الإنسانى .

إن الله الذى آمنا به نحن المسلمين علمنا أنه خلقنا لعبادته :

---

(١) معالم الثقافة الإسلامية صـ ٢٧/ ٢٨ .

(٢) سورة النساء / ١٥٠ ، ١٥١ .

(٣) سورة البقرة : ٨٥ .

وهى غاية رفيعة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) .

ولا يتحقق الإيمان بالله شعوريا وعمليا إلا بالعبادة ، ولا تقوم إنسانية الإنسان إلا بها ، والعبادة التى فرضت على المسلمين جميعها واحدة ، يطالب فيها كل فرد منهم رجلا كان أو امرأة (٢) .

وتتمثل ظاهرة الشمول الإسلامى فى عبادته كما تمثلت فى عقيدته ، فالعبادة فى الإسلام تستوعب الكيان البشرى كله ، فالمسلم لا يعبد الله بلسانه فحسب أو ببدنه فقط ، أو بقلبه لا غير ، أو بعقله مجردا ، أو بحواسه وحدها ، بل يعبد الله بهذه كلها بلسانه ذاكرا داعيا تاليا ، وببدنه مصليا صائما مجاهدا ، وبحواسه كلها ، مستعملا لها فى طاعته سبحانه (٣) .

وإذا كانت العبادة غاية الوجود الإنسانى كما هى غاية كل وجود ، فإن مفهومها لا يقتصر على المعنى الخاص الذى يرد إلى الذهن والذى يضيق نطاقها حتى يجعلها محصورة بأنواع الشعائر الخاصة التى يؤديها المؤمن إن حقيقة العبادة تبدوا فى مفهوم معين:

الأول : العبادة بالمعنى العام :

تعنى السير فى الحياة ابتغاء رضوان الله وفق شريعة الله ، فكل عمل يقصد به وجه الله تعالى والقيام بحق الناس استجابة لطلب الله تعالى بإصلاح الأرض ومنع الفساد فيها يعد عبادة ، وهكذا تتحول جميع أعمال الإنسان مهما حققت له من نفع دنيوى إلى عبادة ، إذا قصد بها وجه الله تعالى (٤) .

والعبادة بالمعنى الأول لها صور منها :

أ ـ السير فى الأرض لجلب الرزق :

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ

(١) سورة الذاريات : ٥٦ .

(٢) الإسلام / الشيخ سعيد حوى صـ ٣٣٧/ ٣٣٨ ، دار السلام / القاهرة صـ٢ ـ ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

(٣) الخصائص العامة للإسلام صـ ١٥ / ١٦ .

(٤) معالم الثقافة الإسلامية . صـ١٤٨ .

مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ (١) .

فالآية الكريمة ذكرت تقسيما مكافئا ، لكل من : الذين يسعون فى الأرض للتكسب وجلب الرزق ، مع القائمين الليل بالعبادة والذكر وتلاوة القرآن ، وفى ذلك من رحابة العبادة حيث جعلت التكسب للعيش عبادة مساوية للقائمين الذاكرين .

ب ـ إشباع الشهوة الجنسية :

يعد هذا العمل من الأمور الطبيعية بناء على التركيب البدنى للإنسان حيث تركّبت فيه الشهوة ولهذا فلها طريقة لإشباعها بالطريق المشروع إلى هنا والأمر فى دائرة العادات ، أما أن يأخذ الإنسان على هذ العمل أجرا فهذا ما يثير الدهشة والعجب ، ولهذا تعجب الصحابة من ذلك العمل حيث قال النبى ﷺ : « **وفى بضع أحدكم صدقة** » .

قالو يا رسول الله : أيأتى أحدنا شهوته ويكون لنا فيها أجر !؟

قال : « **أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر** » (٢) .

وهذا الحديث يقرر مبدءا ، أن الإنسان يؤجر على العاديات إذا نوى بذلك عفة نفسه عن نظيرها فى الحرام .

الثانى : العبادة بالمعنى الخاص :

وهذا المعنى الخاص بالعبادة وحدها فى حيز ضيق وأفق محصور بأن تكون ركعات مجردة عن أخذ الرمزية منها وهى الاستقامة فى الصلاة مع من يقف

---

(١) سورة المزمل : ٢٠ .

(٢) مسلم ـ ك ـ الزكاة ب ـ بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف جـ٢ / صـ١٩٧ ، ١٥٥٦/١٥٣) من حديث أبى ذر .

بجوارك وأيضا الاستقامة فى خارج الصلاة .

ولهذا المعنى قالوا لنبى الله شعيب : ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ (١) .

وكأنهم رفضوا الصلاة سلوكا وقصروها على المسجد وبين زوايا المحراب ولا تخرج الصلاة بسلوكها العملى خارج المسجد .

٣ ـ شمولية الأخلاق فى الإسلام :

ويبرز الشمول كذلك فى ميدان الأخلاق والفضائل فالأخلاق الإسلامية ليست هى التى تعرف عند بعض الناس بـ (الأخلاق الدينية) التى تتمثل فى أداء الشعائر التعبدية ، واجتناب أكل لحم الخنزير وشرب الخمر ، ونحو ذلك لا غير ، إنها أخلاق تسع الحياة بكل جوانبها ، وكافة مجالاتها (٢) .

* المرجعية الأخلاقية للمسلمين :

إن لكل مسلم فى الرسول - ﷺ - أسوة حسنة وينشأ عن هذا المعنى وحدة سلوكية فى الآداب كاملة ، فالمسلمون جميعا يأكلون على هيئة واحدة ، وينامون على هيئة واحدة ، وإذا استيقظوا يتصرفون تصرفات واحدة ، وحتى إذا أرادوا الغائط فإن لهم أدبا واحدا ، آدابهم فى السلام واحدة ، وفى الصحة واحدة وفى المرض واحدة ، وإذا عطس المسلم الهندى يتصرف على طريقة واحدة مع المسلم العربى . . . (٣) .

وهذا إن دل على الوحدة الأخلاقية والآداب السلوكية فإنها تؤكد أن هناك مرجعا موحدا نشر هذه الآداب والفضائل ألا وهو رسول الله ﷺ .

قال تعالى مزكيا رسوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة هود : ٨٧ .
(٢) الخصائص العامة للإسلام صـ١١٧ .
(٣) الإسلام / صـ ٣٣٨ بإيجاز .
(٤) سورة القلم : ٤ .

فى أى جهة أخلاقية زكاه لم تحدد بل على إطلاقها وعمومها ثم أمر المؤمنين بالتأسى برسولهم قائلا : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١) .

وما سبق من بيان الوحدة الأخلاقية داخل المجتمع الإسلامى هى من الأركان اللازمة لتماسك البنيان الإسلامى بل يعد لبنة من لبنات بنائه بشتى صوره وكافة مجالاته من بيع وشراء ومعاملة بالحسنى والإحسان إلى الوالدين والأقارب وذوى الأرحام ، هذا حسن ولكن لا يبرر المعنى الذى أقصده من شمولية الأخلاق الإسلامية .

فهذا وإن تكاملت صورته فى إعطاء وحدة أخلاقية إسلامية إلا أنها ما زالت فى حيز اللزوم بالنسبة للمجتمع الإسلامى .

أما أن يتعدى الجانب الأخلاقى بصوره المتنوعة إلى غير المسلمين فهذا يؤكد شمولية الأخلاق الإسلامية .

يقول تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

فى الآية إيضاح يستوعب جملة المشركين حتى وإن كانوا محاربين ولكن عند طلب الأمان فإن المسلم مأمور بتأمينه ، فأى أخلاق هذه ، إنها ليست أخلاق نفعية بمعنى أن المسلم لا يأمن المشرك حتى إذا تعرض المسلم لنفس الموقف يأمنه المشرك كلا ، فهى أخلاق خالية من النفعية تماما ، ليس كما هو معروف بين المجتمعات الحديثة لا يتعاملون بالصدق إلا اذا أثمر لهم نتائج يرضونها وكذلك باقى الصفات الحميدة ، من أمانة ووفاء بالعهد . . . إلخ فهى أخلاق تترتب عليها نتائج مادية ، وفى هذا تشبيه للصدق بنقيضه إذا أثمر نفس الثمرة .

أما فى الجانب الإسلامى فيقول الله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ

(١) سورة الأحزاب : ٢١ .

(٢) سورة التوبة : ٦ .

فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (١) .

ولهذا يقول الرسول ﷺ : « ألا من ظلم معاهدا أو أنقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب فأنا حجيجه يوم القيامة » (٢) .

وقد غرس النبى ﷺ هذه القيم الأخلاقية فامتزجت امتزاجا كليا داخل المجتمع الذى رباه رسول الله ﷺ فقد ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه ذبحت له شاة فى أهله ، فلما جاء قال : « أهديتم لجارنا اليهودى !؟ أهديتم لجارنا اليهودى !؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » (٣) .

فتصرف عبد الله بن عمر حينما سأل مرتين أهديتم لجارنا اليهودى ، كأنه يقرر له حقا ، مع أنه خصم فى الدين .

وإذا ما تجاوزنا الجانب الإنسانى والبشر جميعا نجد أن الإسلام قد عمت أخلاقه الحيوانات فقد أوصى رسول الله ﷺ بالرفق بالحيوانات عند الذبح حيث قال فى حديثه الذى رواه الصحابى أبى يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء : فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » (٤) .

والأحاديث فى هذا الجانب عديدة ، فأى أخلاق تلك التى وسعت الإنسان والحيوان إن هذه الحقائق كفيلة بإظهار عالمية المنهج الإسلامى . مجردة عن غيرها

---

(١) سورة الممتحنة : ٨ .

(٢) رواه أبو داود : ك ـ الخراج / فى تفسير أهل الذمة ، إذا اختلفوا بالتجارات . جـ٣/١٠٨ ، ح رقم(٣٠٥٢) .

(٣) البخارى / ك الأدب ـ ب ـ إثم من لم يأمن جاره بوائقه جـ ١٠ صـ ٤٥٧ (١٠١٦) ، عن عائشة وابن عمر / مسلم ـ ك ـ البر والصلة والأداب ـ ب ـ الوصية بالجار والإحسان إليه صـ٤ ، صـ٢٠٢٥ (٢٦٦٤) عن عائشة (٢٦٢٥) عن ابن عمر .

(٤) رواه مسلم فى صحيحه ك ـ الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان ب ـ الأمر بالإحسان؛ الذبح والقتل وتحديد الشفر جـ٢/ ١٧٧ .

ولكن باستكمال أطراف الموضوع لتبرز حقيقة أخرى تحتم لزومية الأخذ بالمنهج الإسلامى فى شتى الأقطار والبقاع ألا وهى :

٤ ـ سعة التشريع الإسلامى لاستيعاب مستجدات ومتغيرات العصور المقبلة :

والتشريع فى الإسلام تشريع شامل كذلك ؛ إنه لا يشرع للفرد دون الأسرة ، ولا للأسرة دون المجتمع ، ولا للمجتمع منعزلا عن غيره من المجتمعات [١] .

وهذا الجانب على سعته فإن فيه الكفاية ولكن قصدى من سعة التشريع الإسلامى لاستيعاب مستجدات ومتغيرات العصور هى القاعدة الأصولية المعروفة بـ (المصالح المرسلة) .

يقول الإمام أبو حامد الغزالى : (أما المصلحة فهى عبارة فى الأصل عن جلب منفعة أو دفع مضرة) [٢] .

وهذا تعريف للمصلحة بوجه عام ولكى تكون المصلحة فى إطار الشرع فيجب أن يكون بينها وبين مقاصد الشريعة من التلازم والترابط ما يجعلها محققة الهدف من جعلها مصلحة مرسلة .

حيث إن مقصود الشرع من الخلق خمسة :

١ ـ أن يحفظ عليهم دينهم .

٢ ـ أن يحفظ عليهم نفسهم .

٣ ـ أن يحفظ عليهم عقلهم .

٤ ـ أن يحفظ عليهم نسلهم .

٥ ـ أن يحفظ عليهم مالهم .

---

(١) الخصائص العامة للإسلام صـ١٢١ .

(٢) المستصفى فى علم الأصول / الإمام الغزالى صـ١٧٤ ، ضبط وترتيب محمد عبد السلام عبد الشافى ـ دار الكتب العلمية ، بيروت جـ ١ (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) .

فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة ، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ، ودفعها مصلحة (١) .

فالمحافظة على الدين منع الفتنة فى الدين ، منع الضلال ، ومنع إثارة الأهواء والمفاسد ، وتكون بتوفير الحرية الدينية الكاملة ، ولذا قال تعالى :

﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِ ﴾ (٢) .

والمحافظة على النفس ، هى المحافظة على حق الحياة العزيزة الكريمة . والمحافظة على العقل ، هى المحافظة عليه من أن تناله آفة تجعل صاحبها عبئا على المجتمع ومصدر ضر وأذى .

والمحافظة على النسل ، هى المحافظة على النوع الإنسانى ، بحيث ينشأ قويا فى جسمه ومواهبه ومشاعره وخلقه ودينه .

والمحافظة على المال ، تكون بتنميته من الطريق الحلال التى تتبادل فيه المنافع من غير ظلم ولا جور (٣) .

ومن هنا فإنه يوجد تلازم بين المصلحة وبين المقاصد الشرعية حيث تحقق مقصدا من مقاصد الشرع مستقلا أو مجتمعا مع غيره .

وعلى هذا فالمصلحة تنقسم باعتبار الشرع إلى أقسام :

١ ـ قسم شهد الشارع لاعتبارها .

وهى التى جاءت الأدلة الشرعية بطلبها من الكتاب ، أو السنة ، أو الإجماع ، أو القياس كالصلاة (٤) .

---

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٦ .

(٣) أصول الفقه صـ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، الإمام أبو زهرة ، دار الفكر العربى القاهرة ـ ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م.

(٤) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة صـ٢٤٢ محمد بن حسين بن حسن الجيزوى ـ دار ابن الجوزى السعودية ١٩٩٦م .

٢ ـ قسم شهد الشارع لبطلانها .

وهى ما يطلق عليها المصلحة الملغاة شرعا ، وأطلق عليها مصلحة مع أنها من جانب الشرع مفسدة ، باعتبار الجانب المرجو أو باعتبار نظر العبد القاصر كتحريم الخمر (١) .

١ ـ قسم لم يشهد الشارع لبطلانها ولا لاعتبارها .

وهى المصلحة المسكوت عنها ، فهى التى لم يرد فى اعتبارها أو إبطالها دليل خاص من الكتاب ، أو السنة ، أو الإجماع ، أو القياس ، لكنها لم تخل عن دليل خاص معين بل تستند إلى مقاصد الشريعة وعمومها ، وهذه ما تسمى بالمصالح المرسلة وهى ما لم يشهد الشرع لاعتبارها ولا لإلغائها بدليل خاص وتسمى بالاستصلاح وبالمناسب المرسل (٢) .

وهذا النوع هو المقصود من الدراسة ، حيث سعته لأعمال الناس التى لا تنتهى فى كل عصر ، ولكن مع الالتزام بالضوابط السابق ذكرها بين التلازم بين مقصد الشرع والمصلحة التى تحقق منافع للعباد .

وحيث إن الشريعة الإسلامية شريعة دينية ودنيوية ، وفى مجال الدين أحكام تعبدية كأوضاع الصلاة والصيام لم تتمكن عقولنا من إدراك معنى معين قاطع لها ، فهذه الأحكام لا مجال للقياس عليها فضلا عن القول بالمصلحة المرسلة فيها ، لأنها مقصورة على الوحى السماوى الذى يسن لنا طريقة العبادة المرضية لله عز وجل ، بحيث تكون ذات صفة دائمة موحدة بالنسبة لجميع الأجيال (٣) .

وأما الأحوال المدنية أو المعاملات : فهى الميدان المقبول للاجتهاد فيها والأخذ بالمصلحة المرسلة (٤) .

---

(١) المستصفى فى علم الأصول صـ١٧٣ ، صـ٢٤٣ .

(٢) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة صـ٢٤٣ .

(٣) أصول الفقه الإسلامى د/ وهبه الزحيلى ـ جـ٢ ، صـ٧٥٧ ، دار الفكر بيروت. ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٤) المرجع السابق / نفسه .

ولا شك أن لأحوال المدنية والمعاملات هى التى تخضع للمتغيرات فى كل عصر ، ولابد من ضبطها بضابط الشرع ولا يتم ذلك إلا من خلال المصالح المرسلة.

ومن العرض السابق أرى شمولية المنهج الإسلامى الذى يخص الدعوة الإسلامية بالعالمية ، يتفق مع عالمية الرسول ﷺ وفى ذلك إبراز وتأكيد لعالمية الدعوة الإسلامية ، رسولا ورسالة .

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الخامس

المراسلة وسيلة أصيلة من وسائل الدعوة إلى الله

أولاً : تعريف المراسلة .

ثانيًا : استخدام رسول الله ﷺ للمراسلة .

ثالثًا : رسائل القسم الداخلي .

رابعًا : رسائل القسم الخارجي .

obeikandl.com

obeikandl.com

المراسلة وسيلة أصيلة من وسائل الدعوة إلى الله

تمهيد :

تعتبر المراسلة عملية حيوية من التواصل وتبادل الأفكار وعرض الاتجاهات ، فمن خلالها يمكن لشخص أن يغير رأى شخص آخر أو اتجاهه وقد يصل الأمر إلى تغيير معتقده وهذا إن دل فإنما يدل على أهمية المراسلة لطرح الأفكار وتبادل الآراء .

أولاً : تعريف المراسلة :

والمراسلة هى فن الكتابة إلى الغير ، ومحاولة عقد صلة بين الكاتب ومن كتبت الرسالة إليه . وبهذا التحديد فتعتبر المراسله وسيلة جيدة من وسائل الدعوة إلى الله ، يلجأ إليها الذين وهبهم الله القدرة على التعبير الجميل عن المعنى الجميل(١) .

والتعريف السابق وإن كان عاما إلا أنه يمكن إيضاح جوانبه من حيث . . فن الكتابة إلى الغير ، وهذا لا يمنع التوسع فى هذا المعنى المكتوب من بيانه (بالصوت، والصورة ، ومشاهد الفيديو المتحركة) .

ومن هنا أرى أن المراسلة هى فن التفاعل مع الآخرين لعقد صلة تهدف إلى طرح الأفكار وتبادل الآراء بشتى السبل .

وقد قص القرآن الكريم علينا أن نبى الله سليمان عليه السلام قد كتب إلى ملكة سبأ ، يدعوها إلى الإيمان بعد وضوح الأدلة لديه بعبادتها وقومها للشمس من دون الله .

قال تعالى على لسان سليمان عليه السلام : ﴿ اذْهَب بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ

(١) فقه الدعوة إلى الله : د / على عبد الحليم محمود ١/ ١٨٤ ـ دار الوفاء ـ المنصورة . ط ٢ ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

وإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

(وذلك أن سليمان عليه السلام كتب كتابا إلى بلقيس وقومها وأعطاه ذلك الهدهد فحمله ، قيل : فى جناحه كما هى عادة الطير ، وقيل: بمنقاره ، وجاء إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس إلى الخلوة التى كانت تختلى فيها بنفسها فألقاه إليها من كوة هناك بين يديها ثم تول عنها . . .) (٢) .

ومن الآية السابقة أرى أن نبى الله سليمان عليه السلام استخدم نفس الوسيلة ـ الهدهد ـ حيث أبلغه بخبر عبادتهم للشمس من دون الله فلم يوكل العمل لغيره ، وفى ذلك من الحكمة حيث إن الهدهد هو الجدير بالقيام بهذه المهمة فى شكل خطاب مكتوب ـ نصى ـ مع إيضاح فى شكل غريب ـ الهدهد ـ ليدل على عظمة مرسله .

ثانيًا : استخدام رسول الله ﷺ للمراسلة من خلال اتصاله بالملوك والرؤساء :

ولنا بعد نبى الله سليمان عليه السلام فى استخدامه للمراسلة ـ فى رسول الله ﷺ الأسوة ، فقد كان يأمر كتابه . بكتابة الرسائل : إلى الملوك والرؤساء وشيوخ القبائل ، يدعوهم فيها إلى الإسلام ، وكثير منهم قد استجاب لهذه الرسائل النبوية الكريمة ، ودخل فى الإسلام فأنقذه الله من النار ، ولقد أرسل رسول الله ﷺ رسائله إلى العالم كله فى وقته وزمنه ، مما أمكن الاتصال به داعيا إلى الله ، وطالبا الدخول فى الإسلام ، وترك ما سواه .

وقد بلغت كتبه ﷺ ، ورسائله أكثر من خمسين رسالة كما عدتها كتب السيرة والتاريخ الإسلامى (٣) .

من هذه الكتب والرسائل ما كان فى الجزء الداخلى للجزيرة العربية ومنها ما كان على المستوى العالمى خارج الجزيرة العربية .

---

(١) سورة النمل الآيات من ٢٨ : ٣١ .

(٢) انظر ابن كثير : ٣ / ٣٦١ .

(٣) فقه الدعوة إلى الله : ١/ ١٨٥ مرجع سابق .

١ ـ رسالة النبى ﷺ إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى .

٢ ـ رسالة النبى ﷺ إلى هوذة بن على الحنفى .

٣ ـ رسالة النبى ﷺ إلى الحرث بن كعب .

٤ ـ رسالة النبى ﷺ إلى أساقفة نجران .

٥ ـ رسالة النبى ﷺ إلى المنذر بن سارى .

٦ ـ رسالة النبى ﷺ إلى أهل هجر .

٧ ـ رسالة النبى ﷺ إلى أقيال حضرموت .

٨ ـ رسالة النبى ﷺ إلى أهل حرب وهزرج .

٩ ـ رسالة النبى ﷺ إلى أهل وقف .

١٠ ـ رسالة النبى ﷺ إلى يوحنا بن رؤبة .

١١ ـ رسالة النبى ﷺ إلى سراة أهل أيلة [١] .

رسائل القسم الخارجى :

أرى من المناسب فى هذا المقام أن أتناول الرسائل الخاصة بالقسم الخارجى بشىء من التفصيل حيث انطلاق الدعوة الإسلامية إلى آفاق بعيدة وهذا ما يعقد صلة بوجه ما بين الدعوة الإسلامية وشبكة الإنترنت كما سبق أن ذكرت فى مقدمة هذا الباب من العلاقة بين الدعوة الإسلامية وشبكة الإنترنت .

رسائل النبى ﷺ خارج الجزيرة العربية :

١ ـ رسالة النبى ﷺ إلى هرقل عظيم الروم .

توجه بهذه الرسالة الصحابى الجليل دحية بن خليفة الكلبى .

---

(١) المرجع السابق ١ / ١٨٥ ـ ١٨٦ ، وانظر الدعوة الإسلامية فى عهدها المدنى ص١٥٠ مرجع سابق.

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

« من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين . و ﴿ قُلْ يا أهْلَ الكتاب تعالوا إلىٰ كلمةٍ سواءٍ بيْننا وبيْنكُمْ ألاَّ نعبُدَ إلاَّ اللَّه ولا نُشْرك به شيْئا ولا يتَّخذ بعْضُنا بعْضا أربابا من دُون اللَّه فإن تولَّوْا فقُولُوا اشْهدُوا بأنَّا مُسْلمُون ﴾ (١) » .

علامة الختم :

رسول

اللـــه

محمد (٢)

هرقل يتحرى بدقة عن حقيقة المرسل ﷺ .

عندما وصل الكتاب إلى هرقل ، أرسل يبحث عن بعض قوم محمد ﷺ فى البلاد الشامية فعلم بركب تجار من مكة ، على رأسهم أبو سفيان فدعاهم هرقل إلى مجلسه وحوله عظماء الروم ، ثم دعا أبو سفيان ومن معه وبعد أن أخذ يسأل عن صفات رسول الله ﷺ وأحواله ونسبه وجملة من خصائصه وصل إلى النتيجة التالية :

(.. فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظن أنه منكم فلو أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت

---

(١) سورة آل عمران آية : ٦٤ بلفظ ﴿ قل يا أهل الكتاب . . . ﴾ .

(٢) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة / محمد حميد الله ـ ص ١٠٩ ـ ١١٠ دار النفائس ـ بيروت ط ٦ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، وراجع خاتم النبيين ـ الإمام أبو زهرة ٢/ ٩٧٠ : دار الفكر العربى . د . ق . ت .

عنده لغسلت عن قدميه) [١] .

رسالة ملك الروم هرقل إلى رسول الله محمد ﷺ نص الرسالة :

« إلى أحمد رسول الله ﷺ الذى بشر به عيسى ، من قيصر ملك الروم إنه جاءنى كتابك مع رسولك ، وإنى أشهد أنك رسول الله ، نجدك عندنا فى الإنجيل، بشرنا بك عيسى بن مريم .

وإنى دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا ، ولو أطاعونى لكان خيرا لهم ، ولوددت أنى عندك فأخدمك وأغسل قدميك » [٢] .

. . . ثم قال قيصر للسفير : (لا أذهب إلى نبيكم ، فأخبره أنى معه) ولكن لا أريد أن أدع ملكى ، وبعث معه دنانير هدية إلى رسول الله ﷺ فرجع فأخبره . فقال رسول الله ﷺ : (كذب) وقسم الدنانير [٣] .

وفى قول النبى ﷺ . . . كذب . . دلالة على بقاء الرجل على نصرانيته ، ولكنه تلطف فى الخطاب ومال إلى الإسلام ولم يسلم .

٢ ـ رسالة النبى ﷺ إلى كسرى عظيم الفرس :

توجه بهذه الرسالة الصحابى الجليل . شجاع بن وهب رضي الله عنه .

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

« من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس .

سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله وأدعوك بدعاء الله فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين . فأسلم

---

(١) انظر خاتم النبيين : ٢/ ٩٧٢ مرجع سابق .

(٢) مجموعة الوثائق السياسية / ص١١١ مرجع سابق .

(٣) المرجع السابق ـ ص١١٤ ـ ١١٥ .

تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك » .

علامة الختم :

رسول

اللـــه

محمد (١)

جواب كسرى على رسالة النبى ﷺ :

ذكر صاحب السيرة الجلية أن كسرى حينما قرأ عليه كتاب رسول الله ﷺ غضب حين بدأ رسول الله ﷺ بنفسه وصاح ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه وأمر بإخراج حامل ذلك الكتاب فأخرج فلما رأى ذلك قعد على راحلته وسار فلما ذهب عن كسرى سورة الغضب بعث فطلب حامل الكتاب فلم يجده فلما وصل إليه ﷺ وأخبره الخبر قال ﷺ : « **مزق كسرى ملكه** » (٢) .

وكتب كسرى إلى بعض أمرائه باليمن يقال له : باذان ، أنه بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبى فسر إليه فاستتبه ، فإن تاب وإلا فابعث إلى برأسه ، يكتب إلى هذا الكتاب ـ أى الذى بدأ فيه بنفسه وهو عبدى ، وفى رواية أن يكفينى رجلا خرج بأرضك يدعونى إلى دينه ، وإلا فعلت فيك كذا وكذا يتوعده ، فابعث إليه برجلين جلدين فيأتيانى به (٣) .

وفى رد الفعل الذى قام به كسرى تعنت وغلو فى الكبر ، حتى إنه خرج على الآداب العامة فى المراسلة بأن مزق الرسالة ، وهذا الأمر فيه من الاستخفاف واللامبالاة بعواقب الأمور .

---

(١) يراجع الوثائق السياسية : ١٤٠ وما بعدها ، مرجع سابق ، ويراجع خاتم النبيين : ٢/ ٩٧٤ ، مرجع سابق .

(٢) السيرة الحلبية : الإمام / برهان الدين الحلبى ٣/ ٢٤٧ ـ المكتبة الإسلامية ـ بيروت د . ق . ت ، ويراجع خاتم النبيين ٢/ ٩٧٥ ، مرجع سابق .

(٣) المرجع السابق . الصفحة نفسها .

٣ ـ رسالة النبى ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط :

توجه بها الصحابى الجليل . حاطب بن أبى بلتعة رضي الله عنه .

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله ، إلى المقوقس عظيم القبط .

سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت ، فعليك إثم القبط : ﴿ قل يا أَهْل الْكتاب تعَالوْا إِلىٰ كَلمة سوَاء بيْنَنا وبَيْنَكُمْ ألاَّ نعْبُدَ إلاَّ اللَّهَ ولا نُشْرِكَ به شيْئًا ولا يتَّخذ بعْضُنا بَعْضًا أَرْبابًا مِن دُونِ اللَّهِ فإِن تَوَلَّوْا فقُولُوا اشْهَدُوا بأَنَّا مُسْلِمُون ﴾ (١) .

علامة الختم :

رسول

الله

محمد (٢)

جواب المقوقس :

« لمحمد بن عبد الله من المقوقس .

سلام ، أما بعد : فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبيا قد بقى ، وقد كنت أظن أنه يخرج من الشام . وقد أكرمت رسلك ، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها . والسلام » (٣) .

---

(١) سورة آل عمران آية ٦٤ ﴿ بلفظ قل يا أهل الكتاب . . . ﴾ .

(٢) الوثائق السياسية : ١٣٥/١٣٦ مرجع سابق ، ويراجع خاتم النبيين : ٢/ ٩٧٤ ، مرجع سابق والسيرة الحلبية ٣/ ٢٤٩ مرجع سابق .

(٣) يراجع الوثائق السياسية : ١٣٦ .

٤ ـ رسالة النبى ﷺ إلى النجاشى ملك الحبشة :

توجه بهذه الرسالة الصحابى الجليل . عمرو بن أمية الضمرى رضي الله عنه .

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

« من محمد رسول الله ، إلى النجاشى الأصحم ملك الحبشة .

سلم أنت ، فإنى أحمد إليك الله (الذى لا إله إلا هو) ، الملك ، القدوس، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخه ، كما خلق آدم بيده ونفخه .

وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعنى، وتؤمن بالذى جاءنى ، فإنى رسول الله .

وقد بعثت إليك ابن عمى جعفرا ونفرا من المسلمين . فإذا جاءك فأقرهم ، ودع التجبر ، فإنى أدعوك وجنودك إلى الله ، فقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصحى . والسلام على من اتبع الهدى » .

علامة الختم :

رسول

اللـه

محمد (١)

جواب النجاشى إلى النبى ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم

(إلى محمد رسول الله من النجاشى الأصحم بن أبجر .

---

(١) يراجع الوثائق السياسية : ١٠٠وما بعدها وخاتم النبيين : ٢/ ٩٧٤ وما بعدها، السيرة الحلبية٣/ ٢٤٨ .

سلام عليك يا نبى الله ورحمة الله وبركاته ، من الله الذى لا إله إلا هو الذى هدانى إلى الإسلام . أما بعد : فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى .

فورب السماء والأرض أن عيسى ما يزيد على ما ذكرت تفروقا (١) إنه كما قلت. وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه ، فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأصحابه وأسلمت على يديه لله رب العالمين .

وقد بعثت إليك بابنى أرها بن الأصحم بن أبجر ، فإنى لا أملك إلا نفسى ، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله ، فإنى أشهد أن ما تقول حق .

والسلام عليك يا رسول الله (٢) .

بعد هذا العرض لنص الرسائل وما أعقبها من ردود على تلك الرسائل ، أقول: إن النبى ﷺ من خلال نص رسائله كان يهدف إلى غايات معينة ، وبالتالى فإن المستقبلين للرسائل أصبح لديهم وجهة نظر قبل الدعوة الإسلامية ولهذا جاءت ردودهم متباينة تبعا لاختلافهم فى وجهات النظر والتوجهات التى تبنوها ، وهذا ما سيتضح من خلال الجوانب التحليلية لهذه العملية الاتصالية التى قام بها رسول الله ﷺ .

---

(١) التفروق ـ جمع التمرة ، وعلامة تصل النواة بالقمع ، المعجم الوسيط ١/ ١٠١ مادة تفر ـ مرجع سابق .

(٢) الوثائق السياسية : ١٠٤ وما بعدها . مرجع سابق ، وراجع كتاب الرسائل النبوية ـ تحقيق ودراسة د/ على يوسف السبكى ط١ ـ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

obeikandl.com

المبحث السادس

تحليل المرتكزات التى بنى عليها النبى ﷺ عمليته الاتصالية

١ ـ المرسل .

٢ ـ الرسالة .

٣ ـ الوسيلة .

٤ ـ المستقبل .

obeikandl.com

obeikandl.com

المرتكزات الرئيسية التى أسس عليها النبى ﷺ عمليته الاتصالية

تمهيـــد :

إن أعمـال البلاغ التى كـان يقوم بها رسـول الله ﷺ ، لم تسـر فى وقت من الأوقات بطريقة عشوائية التى ربما أثمرت نتائج غير مرجوة .

بل لقد نهج صلوات الله وسلامه عليه نـهجا خاصا فى خطابه الإعلامى فكان يخاطب كل فئة بحـسب دينها وفكرها ومكانتها فى المجتمع ، فـالمشركون غير أهل الكتاب ، والكفار غـير العصاة ، والحكام غير المحكومين والمؤمنـون غير المنافقين ، ولكنه كـان يلتزم دومـا بلين القول ، ووضـوح المقصد ، وسـلامة العبـارة ، وقوة المنطق، ونفاذ المعنى [١] .

ومن هنا أرى أنـه من المناسب إيضـاح المرتكزات التى أسـست عليـها العمـلية الاتصاليـة ، التى قام بها رسول الله ﷺ حـيث هدفت فى إطارها العام إلـى عالمية البلاغ أو كما سبق انفتاحية الخطاب ، وإن كـان فيها من الدلالة على عالمية الرسول ﷺ وعالمية المنهج ، إلا أنها بالإضافة إلى هـذا هدفت إلى نوع من تغيير الاتجاه قبل من وجهـت إليهم الرسـائل نحو الدعـوة الإسلاميـة أو الدين الجديد وكـانت هذه المرتكزات كما يلى :

أولاً : المرسل :

يهدف إلى التأثير فى الآخرين ـ إنه صاحـب رسالة يؤدي نقلها إلى غيره ـ وقد يكون هذا المرسل شخصية حقيقية أو معنوية (كالمؤسسات والهيئات) كما قد يكون فردا أو جماعة .

---

(١) يراجع كتاب إشكاليات العمل الإعلامى بين الثوابت والمعطيات العصرية : د / محيى الدين عبد الحليم : ص٦٢ : كتاب الأمة ع (٦٤) وزارة الأوقاف ـ قطر ـ ربيع الأول ١٤١٩هـ .

ثانيًا : الرسالة :

وهى مجموعة الأفكار والمفاهيم التى يرجو المرسل نقلها إلى الآخرين ، والأحاسيس والمشاعر التى يرغب فى مشاركتهم فيها ، والقيم والاتجاهات التى يود تنميتها عندهم .

ثالثًا : الوسيلة :

ويراد بها أمران :

الأمر الأول : المنهج الذى يتم بواسطته نقل الرسالة إلى الآخرين كأن يكون لغة أو موسيقى أو رسوما أو غير ذلك .

الأمر الثانى : الأداة التى تنقل بواسطتها الرسالة كأن تكون كتابة أو إذاعة أو تلفاز .

رابعًا : المستقبل :

ويراد به المتلقى الذى يستقبل الرسالة . وقد يكون هذا المستقبل أيضا شخصية حقيقية أو معنوية كما قد يكون فردا أو جماعة (١) .

من هذه المرتكزات يتضح أن الرسالة كجزء من العملية الاتصالية التى ربما يعقبها تغير فى الاتجاه أو الرأى فلهذا يجب صياغتها بعناية ودقة .

وعلى أساس أن الاتجاه يعبر عن الحالة الوجدانية للفرد ـ التى تتكون بناء على ما يوجد لديه من معتقدات أو تصورات فيما يتعلق بموضوع ما أو أشخاص معينين ـ وتدفعه هذه الحالة فى معظم الأحيان إلى القيام بعدد من الاستجابات أو السلوكيات

---

(١) تحليل المحتوى فى العلوم السلوكية الإنسانية (مفهومه ـ أسسه ـ استخداماته) : د / رشدى طعيمة ص١٨ دار الفكر العربى ـ القاهرة ، ويراجع كتاب : علم النفس : أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية ـ جامعة الأزهر ص٨٣ ـ ١٩٩٥م . د . ق .

حيالها فى موقف معين [١] .

وعلى هذا الأساس من تعريف الاتجاه فلكى يتم صياغة رسالة يمكن من خلالها تغيير اتجاه إلى تبنى فكر جديد نحو المرسل ومضمون رسالته . فيجب أن يكون الاتجاه الذى سوف يغير يحتوى على التوجهات النظرية المختلفة ألا وهى :

١ ـ التعامل مع مفهوم الاتجاه فى ضوء المكون المعرفى (أى قدر المعلومات ونوعيتها التى أدت إلى تبنى اتجاه معين) .

٢ ـ التعامل مع مفهوم الاتجاه فى ضوء المكون الوجدانى (وهذا المكون الوجدانى يترتب على ما سبقه من مكون معرفى من حيث الشعور بالكره أو الحب نحو ما نعرفه) .

٣ ـ التعامل مع مفهوم الاتجاه فى ضوء المكون السلوكى (وهذا الأمر يبنى على سابقيه من حيث العلم بشىء محدد ثم يترتب عليه شعور معين هذا الشعور يؤدى إلى سلوك إيجابى أو سلبى [٢] .

ومن هنا فإن تغيير الاتجاه يعتبر نتيجة للعملية الاتصالية فيجب التعامل بداية مع تلك التوجهات السابقة من حيث المكونات المعرفية لدى المستقبل التى يترتب عليها المكون الوجدانى والمكون السلوكى وسيتضح هذا الأمر من التحليل لمضمون الرسائل وما أعقبها من نتائج .

تحليل العناصر المكونة للعملية الاتصالية :

أولاً : المرسل (رسول الله ﷺ) :

إن النبى ﷺ لم يوجه رسائل إلى الملوك والرؤساء لتبادل الرسائل ؛ ولكن وجه رسائله تحت ضوابط محددة لهدف محدد ، ولهذا فقد تطلبت تلك الرسائل صياغة

---

(١) سيكولوجية الإتجاهات (المفهوم ـ القياس ـ التغيير) : د / عبد اللطيف محمد خليفة و د / عبد المنعم شحاتة محمود : ص١٣١ دار غريب القاهرة ويراجع كتاب : محاضرات فى علم النفس الاجتماعى : د / محمد الشيخ ص٣٦ ـ ١٩٨٣ / ١٩٨٤ . د . ق .

(٢) يراجع كتاب : سيكولوجية الاتجاهات : ص ٩٠ مرجع سابق بتصرف .

مناسبة فى مضمونها ومظهرا خاصا فى شكلها العام ، ومن ذلك :

١ ـ توجيه الرسائل بالصفة الاعتبارية للمرسل :

تبدأ كل رسالة بقول رسول الله ﷺ : من محمد بن عبد الله ، فهذا الاسم مع ما له من مكانة رفيعة فى نفوس المسلمين ، ولكن فى مقام الاتصال لا يعد مصوغا لمخاطبة الملوك والرؤساء إلا بإظهار الصفة الاعتبارية لهذا الاسم فقال ﷺ: . . . رسول الله .

أى توجيه الرسائل بصفة الرسالة التى لا يستطيع نبى مرسل أن يتوانى عن تبليغها حيث قال له ربه : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ (١) .

٢ ـ استخدام ألقاب التخاطب المناسبة :

بالتأمل فى رسائل النبى ﷺ وجدت أنه ﷺ قد وضع الأسس التى يجب مراعاتها عند مخاطبة من هم أصحاب مكانة عالية فى الناس .

أ ـ فقد ورد فى رسالته ﷺ إلى هرقل .

خاطبه بقوله : (من محمد بن عبد الله رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى . . .

ب ـ وفى رسالته ﷺ إلى كسرى .

خاطبه بقول : (من محمد بن عبد الله رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس ، سلام على من اتبع الهدى . . .

جـ ـ وفى رسالته ﷺ إلى المقوقس .

خاطبه بقول . . (من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط . . .

---

(١) سورة المائدة آية ٦٧ .

د ـ وأيضا حينما وجه رسالته ﷺ إلى النجاشى .

خاطبه بقوله : (من محمد رسول الله إلى النجاشى ملك الحبشة . . .) (١) .

قال العلامة العينى : يستفاد من قوله : (إلى عظيم الروم) ، ملاطفة المكتوب إليه وتعظيمه (وعظيم الروم) أى الذى تعظمه الروم (٢) .

وكذلك باقى الرسائل فى الملاطفة واختيار ألقاب التخاطب ، وبالنظر فى هذه الطريقة المتبعة فى استخدام الألقاب نتج ما يلى :

يقول الدكتور / حسن وجيه : إن ظاهرة استخدام ألقاب التخاطب الاجتماعية توظف لعدة أهداف أهمها :

إظهار الاحترام ووصف كل شخص بمكانته وهو أسلوب أساسى لمخاطبة من هم أعلى سلطة (٣) .

ومن هنا أقول : إن النبى ﷺ لم يفرض ثقافته فى مخاطبة الملوك والرؤساء بل خاطبهم بالثقافة المناسبة لهم ، وفى هذا من التقنين والتقعيد لهذه الأسس حتى يسير عليها من يعملون بالسياسة الخارجية والتعامل المتواصل مع الزعماء والرؤساء ، وكذلك لم يستعمل رسول الله ﷺ ألقاب التبسيط مع أنه لو استعملها لكانت منه ملاطفة ؛ ولكن لاحتمالية إساءة الفهم لم يستعمل مثل تلك الألقاب .

٣ ـ استخدام ـ الخاتم ـ مصدرا لتوثيق الرسائل :

لما كان الداعية الأول ﷺ حريصا على تبليغ دعوة ربه حتى تصل إلى كل سمع

---

(١) يراجع كتاب : خاتم النبيين ٢/ ٩٧٠ وما بعدها بإيجاز مرجع سابق ، وأيضا كتاب من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين فى ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين : د / فضل إلهى ص١١٦ بتصرف ـ إدارة ترجمان القرآن ـ باكستان ط١ ـ ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦م .

(٢) انظر كتاب : عمدة القارئ : العلامة العينى ١/ ٩٩ دار الفكر بيروت . د . ق . ت .

(٣) يراجع كتاب : مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعى والسياسى : د / حسن محمد وجيه ص٢١٥ سلسلة عالم المعرفة ع(١٩٠) المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب الكويت ـ ربيع الآخر١٤١٤هـ أكتوبر تشرين أول ١٩٩٤م .

ولا يحجبها عن الأسماع حجاب .

فقد روى الإمام البخارى عن أنس بن مالك ﷺ قال : (لما أراد النبى ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل له : (إنهم لن يقرؤوا كتابك إذا لم يكن مختوما) .

فاتخذ خاتما من فضة ، ونقشه : (محمد رسول الله) .

فكأنما أنظر إلى بياضه فى يده [١] .

*** فوائد من اتخاذ النبى ﷺ خاتما :**

كما سبق القول إن رسول الله ﷺ كان حريصا على تبليغ دعوة ربه إلى كل سمع ؛ ولهذا فعندما أراد أن يكاتب الملوك والرؤساء طلب منه الصحابة رضوان الله عليهم أن يختم كتبه ورسائله لتحظى بالاهتمام وفى هذا العمل فوائد منها :

أ ـ عدم جمود صاحب الدعوة عليه السلام على شكل محدد فى طريقته للبلاغ، بل استخدم الخاتم لما رأى فى ذلك من تحقق مصلحة .

ب ـ الاستعانة بمن لديهم دراية بعادات وتقاليد الشعوب فى معرفة ما يناسبهم من طرق الخطاب وآداب المخاطبة وذلك فى قول الصحابة : (إنهم لن يقرؤوا كتابك إذا لم يكن مختوما) [٢] .

جـ ـ وكما يقول الدكتور / فضل إلهى : « إن رسول الله ﷺ كان يراعى أحوال المخاطبين عند إرسال الرسل والكتب إليهم وهذا بلا شك يدل على ضرورة مراعاة أحوال الناس فى الدعوة إلى الله تعالى » [٣] .

إذا كان ما سبق يدل على استخدام النبى ﷺ بصفته مرسلا ضوابط علمية ناسبت مقام الخطاب وحال المخاطبين فمن باب أولى أن تكون الصياغة لمحتوى الرسالة دقيقة محددة تبين الغاية والهدف من إرسالها مع إبراز المعالم الرئيسة فيها .

---

(١) البخارى ـ ك ـ اللباس ـ ب ـ اتخاذ الخاتم ـ ١٠ / ٣٢٤ (٥٨٧٥) .

(٢) سبق تخريجه ـ ص١٣٥ .

(٣) انظر كتاب . مراعاة أحوال المخاطبين : ص١١٧ مرجع سابق .

ومن هنا أرى تماما للفائدة وضع علامات وأسس احتوتها الرسائل من هذه العلامات والأسس ما يلى :

ثانيًا : الرسالة :

١ ـ بيان الخلفيات العامة التى تنبع منها الرسائل .

٢ ـ إيضاح الاستجابات التى يسعى القائم بالاتصال إلى تحقيقها .

٣ ـ التنبؤ بالسلوك الإعلامى المتوقع للقائم بالاتصال (١) .

تفصيل هذه الأسس :

١ ـ الخلفيات العامة التى تنبع منها الرسائل .

أ ـ فى اجتياز الرسول ﷺ حدود الزمان والمكان والأشخاص واتصاله بالملوك والرؤساء على اختلاف عقائدهم وتوجهاتهم من الدلالة على عالمية الدعوة الإسلامية.

ب ـ بإعلاء الرسول ﷺ لهؤلاء الملوك والرؤساء تتحقق التبعة عليهم ، ويترتب على ذلك إثم المخالفة للمستقبل ، ومن تحته فوزرهم عليه ، حيث أخبر ﷺ فى رسالته إلى هرقل : (وإن توليت ، فإنما عليك إثم الأريسيين . .) (٢) .

جـ ـ استخدام النص القرآنى عند مخاطبة أهل الكتاب ، حيث ذكر النبى ﷺ قول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(٣) .

وبهذا الخطاب مع أهل الكتاب خاصة محاولة من رسول الله ﷺ لتغيير اتجاههم من خلال المكون المعرفى لديهم الذى يعتبر أول مكونات الاتجاه .

---

(١) راجع كتاب : تحليل المحتوى فى العلوم السلوكية والإنسانية : ص٣٦ بتصرف . مرجع سابق .

(٢) خاتم النبيين : ج٢ ص٩٧٠ مرجع سابق .

(٣) سورة آل عمران آية : ٦٤ .

د ـ إظهار القول الفصل فى شأن نبى الله عيسى عليه السلام فى رسالة النبى ﷺ إلى النجاشى ، حيث أبان له بلا لبس فى إيجاز قائلا : « . . . وأشهد أن عيسى ابن مريم روح من الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، حملت بعيسى فخلقه الله تعالى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده . . . »(١) .

وهذا البيان منه ﷺ تأسيسا على المكونين المعرفى فى شأن عيسى عليه السلام والشعورى من تقديسه لدى أتباعه وفى ذلك تسلسل منطقى فى صياغة الرسالة .

تلك بعض الخلفيات العامة من الرسائل ثم أنتقل بالحديث إلى : الاستجابات التي سعى النبي ﷺ إلى تحقيقها :

بداية يعلم يقينا لدى النبى ﷺ أنه : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾(٢) .

وأنه : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ (٣) .

ومن هنا علم النبى ﷺ أن الموفق للهداية هو الله وحده وما عليه إلا البلاغ كما سبق الإشارة إلى ذلك ، ولكن لعلمه ﷺ بعاقبة تكذيب المرسلين وعدم الإيمان بما جاؤوا به بل واستمراريتهم على الكفر ، أن ذلك من سوء العواقب ! ولهذا كان يرغب ـ بصفته رحمة للعالمين ـ فى إيمان من يدعوهم إلى الله تعالى .

٢ ـ ومن هذه المقدمة أقول : إن الاستجابات التى سعى النبى ﷺ إلى تحقيقها تتلخص فيما يلى :

أ ـ إعلام الملوك والرؤساء بنبأ الخروج للنبى الخاتم المتمثل فى شخص رسول الله ﷺ لتنقطع بذلك حجة الجهل بعدم العلم ببعثته الشريفة .

وليس أدل على ذلك من قول هرقل : (. . . وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم

---

(١) خاتم النبيين : ج٢/٩٧٨ . مرجع سابق .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٦ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٧٢ .

أكن أظن أنه منكم . . .) (١) .

وكذلك قول المقوقس فى رسالتـه التى بعث إلى رسول الله ﷺ قائلا : (وقد علمت أن نبيا بقى ، وكنت أظن أنه يخرج من الشام . . .) (٢) .

ب ـ الآثار المترتبة على توجيه الرسائل للملوك ، لأن فى مخاطبتهم أجدى من مخاطبـة رعاياهم حيث الناس عـلى دين ملوكهم . فقـد يتحقق إيمان رعيـة كاملة لإيمان ملكهم وإذا لـم يتحقق ذلك فى شخـص الملك ، فقد تصادف الـدعوة قلوبا متعطشة للإيمان فتتمسك بالدعوة ، كما فى شأن الرسالة الموجهة إلى كسرى ، فبعد تمرده وطلبـه حضور الرسـول ﷺ بين يديه وأرسل فـى ذلك رسلا من خلال أمـير اليمن ـ عـامل كسرى ـ فأخـبر رسول الله ﷺ الرسـولين بقتل كسـرى بيد ولده ، فرجعا وأخبرا أمير اليمن بالخبر ولم يكن على علم بذلك .

وحينما تيقن الخبر كما قـال الإمام أبو زهرة : « . . . فكر أمير اليمن وقدر ما بين يديه من علم ، وانتهى تفكيره إلى الإسلام والتسليم ، وقال : ـ إن هذا الرجل لرسول ، فأسلم ، وأسـلمت الأبناء من فارس الذين كانوا بالـيمن . وبذلك دخل الإسلام ، أرض اليمن ، ووجد له فيه دعاة » (٣) .

جـ ـ فى مخاطبة الملوك والرؤساء مقدمـة وتمهيد بأنهم فى حين رفضهم للدعوة وصاحبها عليه السلام ، فقد يترتب على ذلك أمور عظام قد تتمثل فى الحرب وغير ذلك ولهـذا فقد تنبـأ هرقل لتلك الحقـيقة حيـنما سأل أبو سـفيان عن صفـته ﷺ وأحواله ، ثم قـال هرقل : (. . . فإن كان ما تقول حـقا فسيملك مـوضع قدمى هاتين . . .) (٤) .

٣ ـ التنبؤ بالسلوك الإعلامى المتوقع :

إن النبى ﷺ كان ينظر إلى الأحداث بمرآة النبوة ؛ ولهذا فإنه ﷺ قد تنبأ بما قد

---

(١) يراجع خاتم النبيين : ج٢/ ٩٧٢ . مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق : ص ٩٨٠ .

(٣) المرجع السابق : ٩٧٦ / ٩٧٧ . بتصرف .

(٤) السابق : ٩٧٢ .

يصدر من المستقبلين للرسائل فرتب على ذلك أمورا منها : ـ

أ ـ أحكم اختيار الرسل لأنهم يمثلونه فى تبليغ الرسالة ، وفى هذا من الدلالة على حكمة الرسول ﷺ ففى اختياره لحاطب بن أبى بلتعة توقعا للسلوك الذى قد يصدر من المقوقس وقد تهم ! .

قال المقوقس : هلم أخبرنى عن صاحبك ، أليس هو نبيا ؟

قلت: بلى هو رسول الله ﷺ .

قال : فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها .

قال حاطب : عيسى ابن مريم ألست تشهد أنه رسول الله ؟ قال : بلى ، قلت: فما له حيث أخذه قومه ، فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون دعا عليهم .

قال المقوقس : أنت حكيم قد جئت من عند حكيم (١) .

وفى اختيار دحية الكلبى فى حمل رسالة قيصر الروم من الحكمة أيضا حيث يقول الدكتور / رؤوف شلبى رحمه الله :

فرسالة قيصر الروم حملها دحية الكلبى ، وسفارة سيدنا دحية بن خليفة الكلبى تبرهن على عظم النبى ﷺ فى اختيار سفيره الذى يحمل شرف تبليغ كتابه ، وذلك أن نظام الدخول على القيصر معروف ، وهو الركوع أمامه حتى يؤذن بالاعتدال ، وهى مسألة تتنافى مع الذاتية الإسلامية فى العبادة وفى المظهر العادى ، فاتخذ سيدنا دحية منطقا دبلوماسيا ، فهو لن يتعجرف كما يفعل بعض المتحذلقين باسم الكرامة، ولا هو رجع اعتزازا بدينه وبنفسه من السقوط فى فعل لا يتفق مع تعاليم الإسلام ؛ ولكنه ركب سفينة الديبلوماسية فوضع الكتاب على عتبة منبره الذى يجلس عليه فإن أحدا لا يحركه حتى يأخذه القيصر ، ثم دخل عليه عاديا ونجا سيدنا دحية من كارثة ديبلوماسية وهى أنه لابد أن يركع حتى يقبل منه الكتاب (٢) .

---

(١) المرجع السابق: ٩٨٠ . (٢)يراجع كتاب: الدعوة الإسلامية فى عهدها المدنى: ٤٩٧/٤٩٨ .

ب ـ صياغة الرسائل بألفاظ محددة .

العشوائية والنتائج التى تأتى بدون مقدمات منطقية لم تكن فى وقت من الأوقات طريقة استخدمها رسول الله ﷺ بل كان وحيا يوحى ومع هذا فقد خطط تخطيطا محكما فى اختيار ألفاظ الرسائل فأثمرت عن نتائج كما تنبأ بها ﷺ .

يقول الدكتور / رؤوف شلبى رحمه الله : ـ

وبالنظر فى مضمون الرسالة ـ رسالة النبى ﷺ ـ إلى كسرى نجدها تختلف فى الأسلوب عن رسالة قيصر فليس فى الأولى ـ رسالة قيصر ـ كلمة التوحيد بل فيها الدعوة إلى التوحيد ، وليس فيها النص على أن محمدا ﷺ رسولا إلى الناس كافة لأن ذلك القدر كان معروفا لقيصر الروم باعتباره قسيسا عالما بالإنجيل ، وليس فى رسالة كسرى يؤتك الله أجرك مرتين لأنه مجوسى .

وكلتا الرسالتين تتنبأ بالنتيجة وهى أن عليه إثم شعبه إذا تولى وكفر ، بل فى رسالة كسرى زيادة وهى الإرهاص بذهاب ملكه فى قوله ﷺ :

﴿ وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

وفى كتابه ﷺ إلى النجاشى ، البدء بالسلام وفيه أن النبى ﷺ يحمد الله له، وفيه دعوته إلى أن يلزم جنوده بما يؤمن به والموالاة على طاعته ثم ختم بالنصيحة .

ومفهوم السياق أن الكتاب موجه إلى النجاشى بصفته عظيم الحبشة وأنه مسلم، ففى النصوص دلالة المعنى اللزومى ، وزيادة تترتب على ذلك وهى أنك إذا كنت قد أقررت بما جاء به محمد ﷺ كفرد واحد فإنما عليك تبعة بصفتك عظيم الحبشة وإنك مسلم ، وهى الموالاة على طاعة رسول الله ﷺ ، ودعوة الجند إلى الله عز وجل ، ولهذه الخاصية كتاب النبى ﷺ (٢) .

ومن خلال هذا العرض الموجز أقول : إن التنبؤ بما سيحدث يعد جانبا بارزا فى

---

(١) يس : ٧٠ .

(٢) السابق : ٥٠١ .

رسائل النبى ﷺ ولهذا أثمرت نتائج كانت متوقعة ولم يكن الأمر عبثا من القول بل صياغة محكمة أفرزت إيجابيات بإسلام النجاشى وأمير اليمن عامل كسرى وأتباعه ـ وأيضا سقوط العذر بالجهل عند هرقل والمقوقس وإن كان كسرى لم يؤمن فقد كان سببا فى إيمان عامله باليمن كما مر .

ثالثًا : الوسيلة التى حملت الرسائل :

كانت الوسائل المتاحة فى عصر النبوة أن يحمل رسولا الرسالة ويبلغها إلى من وجهت إليه ولهذا فالرسل الذين تم اختيارهم من رسول الله ﷺ هم الذين قاموا بهذا الدور وقد رأيت فى هذا الجانب أن أذكر تراجم لهم وقد سبق ذكر الخصائص العامة التى جعلتهم مؤهلين لحمل رسائل النبى ﷺ وهم : ـ

١ ـ دحية بن خليفة الكلبى (١) .

٢ ـ شجاع بن وهب (٢) .

٣ ـ حاطب بن أبى بلتعة (٣) .

---

(١) هو الصحابى الجليل دحية بن خليفة بن فروة بنى فضال بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج بن عوف الكلبى ، كان من كبار الصحابة لم يشهد بدرا وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد ، وكان يضرب به المثل فى حسن الصورة وكان جبرائيل عليه السلام ينزل على صورته ، وهو الذى بعثه رسول الله ﷺ إلى قيصر فى الهدنة وذلك فى ٦هـ فآمن به قيصر وأبت البطارقة أن تؤمن فأخبر ذلك دحية رسول الله ﷺ يراجع الإصابة فى تمييز الصحابة ، شهاب الدين العسقلانى ، ج١ ص٤٧٣ مؤسسة الرسالة ، ط١ سنة ١٣٢٨ هـ . وبهامشة الاستيعاب فى أسماء الأصحاب ، ابن عاصم النمرى القرطبي المالكي ج١ / ص ٤٧٣ ، ٤٧٤ مؤسسة الرسالة ط ١ سنة ١٣٣٢هـ.

(٢) شجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد . . . بن خزامة الأسدى ذكره ابن إسحاق فى السابقين الأولين وفيمن هاجر إلى الحبشة وفيمن شهد بدرا وقال ابن سعد وابن الكلبى وغيرهما : استشهد باليمامة وكنيته أبو وهب . الإصابة فى تمييز الصحابة شهاب الدين العسقلانى . ج٢ ، ص١٣٨ ، مرجع سابق .

(٣) حاطب بن أبى بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمى حليف بنى أسد بن عبد العزى . . . قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية فجئته بكتاب رسول الله ﷺ ، وكان حاطب من فرسان قريش فى الجاهلية وشعرائها ، وقال ابن أبى خيثمة : قال المدائنى : مات حاطب فى سنة ثلاثين فى خلافة عثمان وله خمس وستون سنة وكذا رواه الطبرانى عن يحيى ابن بكر ، المرجع السابق ، ج١ ، ص٣٠٠ ، بإيجاز .

obeikandl.com

٤ ـ عمرو بن أمية الضمرى [١] .

هؤلاء هم الوسيلة التى كانت متاحة فى ذلك الوقت وقد اختارهم رسول اللهﷺ بعناية وتدقيق كما سبقت الإشارة لمثل هذا .

كذلك كان ﷺ يبعث بالكتاب مع سفير مناسب للقوم الموجه إليهم الكتاب ومصداق هذا ما حكم به المقوقس عظيم القبط فى مصر بعد أن جرى بينه وبين حاطب بن أبى بلتعة حوارا ، غلب فيه حاطب فقال المقوقس ، مقالته المشهورة : أنت حكيم من عند حكيم، بل قد تعلم كل سفير لغة البلد التى سيسافر إليها [٢] .

رابعًا : المستقبل للرسالة :

كما سبق أن المستقبلين للرسائل هم الملوك والرؤساء ، وقد وجهت لهم الرسائل بصفة الملك والرئاسة من قبل النبى المرسل .

وإلى هنا فهل الرسائل الموجودة على شبكة الإنترنت سواء مواقع وغير ذلك تؤدى خدمة دعوية على مستوى الوسيلة المستخدمة ـ الإنترنت ـ أم لا ؟

---

(١) عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن ناشرة . . الضمرى أبو أمية ، صحابى مشهور له أحاديث ، روى عنه أولاده ، قال ابن سعد : أسلم حين انصرف المشركون من أحد وكان عمرو شجاعا وأول مشاهده بئر معونة فأسره عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأطلقه ، ولقد بعثه رسول اللهﷺ إلى النجاشى فى زواج أم حبيبة ، وكان من أشعر رجال العرب جرأة ونجدة وعاش إلى خلافة معاوية فمات بالمدينة وقال أبو نعيم : مات قبل ٦٠ ، يراجع فى ذلك المرجع السابق ، ج٢، ص٥٢٤ ، بإيجاز .

(٢) يراجع الدعوة لإسلامية فى عهدها المدنى د / رؤوف شلبى ص٤٩٦ . مرجع سابق .